مـوقف الإنتيليجنسيا العـراقية
من هيمنة الثقافة الأمريكية في الحياة الاجتماعية
دراسة في السيسيولوجيا السياسية وإشكالية التغيير في العراق

أ.م.نبيل عمران موسى الخالدي
كلية الآداب/ جامعة القادسية

الخلاصة:

شهد العالم القديم والحديث على السواء مزجاً بين ثقافات عديدة، أدت إلـى تطـور العمـران وتراكم الحضارات، وكان لكل ثقافة طابعها الخاص الذي يميزها عن الثقافات الأخـرى. وقـد كـان التبادل الثقافي قديماً يفتح أمام الثقافات التبادل والتفاعل الإيجابي، أما ما نشهده اليوم فهو مـد ثقـافي باتجاه واحد، وهذا ما يمثل العولمة الثقافية التي هي عملية تعميم الثقافة الأمريكية على العالم، والتـي تسعى إلى جعل كل البشر على صورة واحدة، هي النموذج الغربي الأمريكي بالتحديد، وهو المسيطر حالياً، وتتضمن أيضاً بلوغ البشرية مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكـار والمعلومـات والبيانـات والاتجاهات والقيم والأذواق على الصعيد العالمي، وبأقل قدر من القيود والعراقيل والضوابط، وربمـا يعود ذلك إلى أن الأفكار والقيم والمفاهيم تحمل في أحشائها دائماً بروز العولمة، بمعنـى الاسـتعداد للانتشار الحر دون قيود، والانتقال العابر للحدود، والتوسع على الصعيد العالمي. فالعولمة هي نفـي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي وهي تجسيد لإرادة الهيمنة، وهي بذلك قمع وإقصاء للآخر وهي تهدف إلى إفراغ الهوية الثقافية، من محتواها، فالعولمة تمارس عملية الاسـتتباع الحضاري، الذي يؤدي إلى فقدان الشعور بالانتماء للوطن وللأمة، وهي نهاية عهد السـيادة الثقافيـة وتعميم الثقافة الأمريكية على العالم.

تكمن أهمية الدراسة الحالية في التعرف على دور المثقف العراقي الذي يعول عليه في تحقيق الرفاه والنهوض بالمجتمع لمخاطر أبعاد الهيمنة الثقافية الامريكية، إذ أن المثقف اليوم هو الذي يعـي روح العصر، ويندمج في تياره ويساهم عن طريق الكلمة والفكر من أجل زيادة معارف الناس وصقل وجدانهم وجعلهم أكثر إنسانية لكونه يشكل شريحة متميزة داخل المجتمع بسلوكه وأفكاره وذوقه، يسعى باستمرار إلى تعديل القيم الثابتة وإلى العمل أحيانا كجماعة ضغط معنوي من أجل مبدأ أو قضية مـا، فهي مطالبة ببث الوعي وعليها –أي الأنتلجنسيا– بحكم وظيفتها أن تنصرف إلى نشر الـوعي فـي

المجتمع، وتكون باعثة للفكر الصحيح، وحامية له فهو مطالب ببث الوعي بحكم وظيفته أن ينصرف إلى نشر الوعي في المجتمع، ويكون باعث للفكر الصحيح، وحامي له.

تهدف الدراسة الحالية إلى :

١-التعرف على دور المثقف العراقي من مظاهر الهيمنة الامريكية الثقافية على الحياة الاجتماعية في العراق.

٢-التعرف على العوامل التي أدت إلى هيمنة الثقافة الامريكية في العراق من وجهة نظر المثقف العراقي.

٣-التعرف على الادوار التي يتعين على المثقف العراقي أتخاذها لمواجهة الهيمنة الثقافية الامريكية.

٤-التعرف على العلاقة القائمة بين مواقعهم التي يشغلونها في المجتمع ورؤاهم السياسية.

لتوفير فهم لمشكلة البحث يرى الباحث ضرورة توجيه الدراسة بالتساؤل الرئيسي التالي:ما هو تأثير النموذج الثقافي الامريكي على الثقافة العراقية سواء أكان هذا التأثير سلبياً أم إيجابياً ؟ ويتفرع منه التساؤلات الفرعية التالية:

١-ماهو دور المثقف العراقي من مظاهر الهيمنة الامريكية الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية على الحياة الاجتماعية في العراق ؟

٢-ما العوامل التي أدت إلى هيمنة الثقافة الامريكية في العراق من وجهة نظر المثقف العراقي؟

٣-ماهي المظاهر التي من خلالها يتضح رفض العراق للهيمنة الامريكية من وجهة نظر المثقف العراقي؟

٤-ما الأدوار التي يتعين على المثقف العراقي أتخاذها لمواجهة هيمنة الثقافة الامريكية؟

تناول الباحث عرض المفاهيم الأساسية للدراسة وتحليلها، ومحاولة تحديدها إجرائياً، وقد أوضح الباحث مفهوم الإنتلجنسيا، ومفهوم المثقف والفروق بينهما، كما تناول مفهوم الهيمنة، ومفهوم الثقافة، ومفهوم العولمة.

صاغ الباحث مجموعة من الإجراءات المنهجية في محاولة الإجابة عن تساؤلات الدراسة وتحقيق الأهداف العامة لها، وقد أعتمد الباحث على الأسلوب الوصفي باعتباره أنسب الأساليب في الكشف عن الاتجاهات والتصورات الإنسانية حول الظواهر الاجتماعية وتحديد مواقفهم تجاهها، كطريقة المسح الاجتماعي باستخدام أداة الاستبيان ، وطريقة الملاحظة والمقابلات، وذلك وفقاً لطبيعة الظاهرة محل الدراسة والبحث.

اقتصرت عينة الدراسة على مدينة الديوانية حيث تضم عدد كبير من أهم الكتاب والمفكرين والمثقفين بالعراق، واعتمدت الدراسة على أسلوب العينة العمدية (غير الاحتمالية) في اختيار

المفردات، حيث روعي تمثيل العينة لمناطق الدراسة، والحصول على مفرداتها من خلال اختيار بعض المثقفين المعروفين للباحث من التيارات الفكرية المختلفة، والاعتماد على البعض منهم في التوصل إلى الآخرين، وذلك عن طريق الطلب من بعضهم ترشيح بعض زملائهم للباحث، وأخذ عناوينهم أو الاتصال بهم ، أو إرسال أداة الاستبيان إليهم للإجابة عن تساؤلاتها.

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج وهى :

١-أن نجاح دور المثقفين يقتضي استقلاليتهم في الرأي والفكر، وعدم تبعيتهم لسياسة السلطة التي تتعارض مع الثوابت التي يتمسكون بها أي وجوب عدم تبعية الثقافة للسياسة.

٢-ضرورة تعزيز العلاقات بين المثقفين والسياسيين، وعلى المثقفين العراقيين العمل على توحيد جهودهم الفكرية والثقافية من خلال النقابات والمهن التي ينتمون إليها والاتفاق على نقاط محددة تبين بوضوح مجال نشاطهم الثقافي والسياسي.

مقدمة

شهد العالم القديم والحديث على السواء مزجاً بين ثقافات عديدة، أدت إلى تطور العمران وتراكم الحضارات، وكان لكل ثقافة طابعها الخاص الذي يميزها عن الثقافات الأخرى. وقد كان التبادل الثقافي قديماً يفتح أمام الثقافات التبادل والتفاعل الإيجابي، أما ما نشهده اليوم فهو مد ثقافي باتجاه واحد، وهذا ما يمثل العولمة الثقافية التي هي عملية تعميم الثقافة الأمريكية على شعوب العالم، والتي تسعى إلى جعل كل البشر على صورة واحدة، هي النموذج الغربي الأمريكي بالتحديد في التفكير وطرائق الحياة، وهو المسيطر حالياً، وتتضمن أيضاً بلوغ البشرية مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكار والمعلومات والبيانات والاتجاهات والقيم والأذواق على الصعيد العالمي، وبأقل قدر من القيود والعراقيل والضوابط، وربما يعود ذلك إلى أن الأفكار والقيم والمفاهيم تحمل في أحشائها دائماً بروز العولمة، بمعنى الاستعداد للانتشار الحر دون قيود، والانتقال العابر للحدود، والتوسع على الصعيد العالمي. فالعولمة هي وجه من وجوه الهيمنة الإمبريالية، هي تجسيد لسيطرة أمريكا على العالم، ورغبتها في تعميم نموذجها الثقافي على المجتمعات، مستخدمة في ذلك التطور الهائل في منظومات التقنية والاتصال. وهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي وهي تجسيد لإرادة الهيمنة، فهي بذلك قمع وإقصاء للآخر وهي تهدف إلى إفراغ الهوية الثقافية، من محتواها، فالعولمة تمارس عملية الاستتباع الحضاري، الذي يؤدي إلى فقدان الشعور بالانتماء للوطن وللأمة، وهي نهاية عهد السيادة الثقافية وتعميم الثقافة الأمريكية على العالم.

فمع نهاية الحرب الباردة وبزوغ عهد جديد للقوة الأمريكية الأحادية(القصد هيمنـــة وســيطرة أمريكا على العالم)، فقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في إقناع الدول الأخــرى علــى إطاعــة أوامرها من خلال قوة الإمبراطورية العارية عن طريق التطبيق غيــر المباشــر للقــوة الاقتصــادية والسياسية والعسكرية، كما تعتقد بأن حلفائها وأصدقائها يتصرفون وفقاً لمصالحهم عندما يدعمونها أو يسندونها ويطيعون أوامرها، وذلك من خلال وضع الشروط للاقتصاد العالمي والحفاظ على أكبر قوة عسكرية في العالم بحيث تمكن أمريكا للسيطرة على بقية البلدان الأخرى، حتى لو ترتبط معها بأقــل العلاقات.

الفصل الأول: المحددات النظرية للدراسة

أولاً: إشكالية الدراسة:

ففي ظل متغيرات عالمية متلاحقة بوجود الاتصال الكوني وعولمة ونظام اقتصادي عالمي، مع بروز تشكيل النظام العالمي الجديد الذي يسعى إلى السيطرة الثقافية على العالم لما له من أهمية بالغــة للسيطرة على عقول وأفكار الشعوب عن طريق ثورة الاتصال التكنولوجي المعلوماتي فــي مجــالات الاعلام والاتصال والمواصلات، والتدخل الاقتصادي والعسكري للولايات المتحــدة الامريكيــة فــي العراق دون أدنى اعتبار للمواثيق الدولية وغيرها من الدول التي تهدد مصالحها الامنية، أو تســتطيع من خلال ذلك التدخل الحصول على مصالح اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية تؤدي إلى وقوع تلك الدول فريسة للهيمنة الامريكية التي بدأت اقتصادية وعسكرية ثم إلى الهيمنة على الثقافات والافكــار بوجود السياسات الثقافية من داخل تلك الدول التي اعدت من قبل القوة المهيمنة الامريكية، التي تعيش تحت وطأة الاستعمار الثقافي وحتى العسكري كما هو في العراق أدى ذلك إلى اختلال القيم الاخلاقية والاجتماعية بعيدة عن اخلاق وتعاليم مجتمعنا وحلول محلها القيم المادية المعبرة عن ثقافة المصــالح والسوق، أتسع إلى الصناعة والسياسة والثقافة والأخير أخطرها في الهيمنة والاختراق والسيطرة على العقول التي تقود الدول، وقد ساعد على تلك الهيمنة الثقافية نزعة عولمة الثقافة (الاســتراتيجية التــي اتبعتها أمريكا في فرض الهيمنة الامريكية على العالم)، التي عن طريقها يتم السيطرة الثقافية الغربيــة على سائر ثقافات العالم مستفيدة من التطورات المتلاحقة في مجال ثروة الاتصــالات والتكنولوجيــا الفائقة وتقنية الاستنساخ التي تخترق الشعوب، ودخول العالم عصر جديد سيطر فيه النظام الاقتصادي العالمي الجديد. فالعولمة من أهم آليات الهيمنة وتهدف إلى اشاعة سياسة الانفتاح في العالم أي انفتــاح سياسي واقتصادي وثقافي. ولا بد من الاشارة إلى أن هناك عوامل داخلية وأخرى خارجية ســاعدت على وصول الولايات المتحدة الامريكية إلى تلك المكانة العالمية، حتى أصبحت المهيمنة والمســيطرة

على مقدرات الشعوب، وخاصة الشعوب الضعيفة التي لا تملك الوصول إلى الاكتفاء الذاتي من المأكل والمشرب والملبس كما حث مع العراق أبان الحصار الاقتصادي الدولي الجائر عليه، أو تلك الدول التي لا تملك القدرة عن أن تدافع عن كيانها عسكرياً أمام القوة المهيمنة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، فإذا نظرنا إلى الواقع الذي تعيش فيه وجدنا أن هناك عوامل داخلية من داخل الدول أدت إلى الهيمنة الامريكية عليها، وأيضاً هناك عوامل خارجية أدت إلى تلك الهيمنة وخص بالذكر هنا الهيمنة الثقافية التي تهتم بها تلك الدراسة.

أذن أين يقف المثقف العراقي من هذا كله؟ الذي بدأت اعدادهِ تمثل شرائح اجتماعية كبيرة وقوى ضغط تؤثر في موازين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. ويتجسد هذا في أدوار المثقفين العراقيين في مقابل هذه الأحداث، وهي الصورة التي نرغب في أن يكون عليها هؤلاء المثقفون، ولاشك أن المثقف لن تتاح له فرصة تحقيق ذلك أن لم يكن المجتمع ونظامه السياسي لديه لاستعداد لقبول هذا الفكر وذلك السلوك، وأيضاً يتوقف على مدى الجهد الذي تبذله الصفوة المثقفة في الترويج للحرية فكراً وسلوكاً، وأن يكونوا بعد ذلك شهود على عصرهم ورقباء على مجتمعهم لذلك اصبحت هذه القضية جديرة في تناولها بالبحث وكيفية مواجهة الانتلجنسيا العراقية لها. ومما لاشك فيه أن الأنتلجنسيا العراقية كانت دوماً هي الأقرب إلى الإشكاليات التي تعصف بالواقع وكان من خلالها يمكن تلمس مؤشرات ذلك الواقع ولهذا كانت لها رؤاها المسبقة في كل ما جرى ويجري. و بناء اً على ذلك هذا ما يحفزنا إلى التفكير في إجراء دراسة ميدانية على شريحة من مثقفينا العراقيين أو صفوتنا المتعلمة نستظل فيها ببعض ما أثير في هذه الدراسة.

ثانياً: أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في التعرف على دور الأنتلجنسيا العراقية الذي يعول عليه في تحقيق الرفاه والنهوض بالمجتمع لمخاطر الهيمنة الثقافية الامريكية الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية ورفض الهيمنة مهما كان مصدرها، إذ أن المثقف اليوم هو الذي يعي روح العصر، ويحمل هموم مجتمعه، ويندمج في تياره ويساهم عن طريق الكلمة والفكر من أجل زيادة معارف الناس وصقل وجدانهم وجعلهم أكثر إنسانية لكونه يشكل شريحة متميزة داخل المجتمع بسلوكه وأفكاره وذوقه، يسعى باستمرار إلى تعديل القيم الثابتة وإلى العمل أحيانا كجماعة ضغط معنوي من أجل مبدأ أو قضية ما، فهي مطالبة ببث الوعي وعليها –أي الأنتلجنسيا– بحكم وظيفتها أن تنصرف إلى نشر الوعي في المجتمع، وتكون باعثة للفكر الصحيح، وحامية له فهو مطالب ببث الوعي بحكم وظيفته أن ينصرف إلى نشر الوعي في المجتمع، ويكون باعث للفكر الصحيح، وحامي له.

ثالثاً: أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى :

١-التعرف على موقف الأنتلجنسيا العراقية من مظاهر الهيمنة الامريكية الثقافية على الحياة الاجتماعية في العراق.

٢-التعرف على العوامل التي أدت إلى هيمنة الثقافة الامريكية في العراق من وجهة نظر الأنتلجنسيا العراقية.

٣-التعرف على الادوار التي يتعين على الأنتلجنسيا العراقية أتخاذها لمواجهة الهيمنة الثقافية الامريكية.

٤-التعرف على العلاقة القائمة بين مواقع الأنتلجنسيا العراقية التي يشغلونها في المجتمع ورؤاهم السياسية.

٥-التعرف على التصورات المستقبلية في ضوء النتائج التي يمكن الوصول إليها، عملياً وليس نظرياً وتجريدياً، فيما يخص دور الأنتلجنسيا العراقية في التغيير المنشود.

رابعاً: تساؤلات الدراسة

لتوفير فهم لمشكلة البحث يرى الباحث ضرورة توجيه الدراسة بالتساؤل الرئيسي التالي: مـــا هي أدوار المثقف من هيمنة النموذج الثقافي الامريكي في الحياة الاجتماعية سواء أكان هـــذا التـــأثير سلبياً أم إيجابياً ؟ ويتفرع منه التساؤلات الفرعية التالية:

١-ما هي الإمكانية الحقيقية لبروز دور تغييري مركزي للإنتلجنسيا العراقية في ظل الأوضاع القائمة؟

٢-ماهو دور الأنتلجنسيا العراقية من مظاهر الهيمنة الامريكية الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية في الحياة الاجتماعية في العراق ؟

٢-ما العوامل التي أدت إلى هيمنة الثقافة الامريكية في العراق من وجهة نظر الأنتلجنسيا العراقية ؟

٣-ماهي المظاهر التي من خلالها يتضح رفض العراق للهيمنة الامريكية من وجهة نظر الأنتلجنسيا العراقية ؟

٤-ما الأدوار التي يتعين على الأنتلجنسيا العراقية أتخاذها لمواجهة هيمنة الثقافة الامريكية؟

٥- ما امكانية قياس دور الأنتلجنسيا العراقية ، وما مدى آثاره الراهنة والمستقبلية في الحياة الاجتماعية العراقية ؟

خامساً: مفاهيم الدراسة

تناول الباحث عرض المفاهيم الأساسية للدراسة وتحليلها، وقد أوضح الباحث المفاهيم التالية:

١-مفهوم الإنتلجنسيا Intelligentsia

كلمة روسية من أصل بولندي استخدمت لأول مرة في روسيا خلال ستينات القرن التاسع عشر، للإشارة إلى المثقفين الذين كانوا يمارسون النقد الفكري لزمانهم ومجتمعاتهم، ويرفضون النظام القائم ويدعون إلى تغييره، ويقدمون تصورات ومفاهيم جديدة أو نظريات نقدية حول المجتمع التاريخي أو النظام الاجتماعي والسياسي ككل، ويلتزمون بالأفكار الثورية التي يقدمونها ويعيشون لها ويحيون له. وإن كلمة انتلجنسيا قد استخدم في الإشارة إلى الشريحة العليا، القسم الأكثر ظهوراً في الطبقة المثقفة، أو نخبة المثقفين. هذا مع العلم أن بالإمكان درج كل مجموعة المثقفين تحت أسم الانتلجنسيا حينها سيكون بإمكاننا الحديث أيضاً عن شرائح من الانتلجنسيا، كأن نقول الانتلجنسيا العليا، أو الوسطى، أو الدنيا.

عرف نديم البيطار الإنتلجينسيا بأنها "حاملة الوعي الثوري" و"أداة العمل الثوري" (البيطار، ٢٠٠١، ص١٢). وهي لا تضم في صفوفها سوى تلك الشريحة من المثقفين التي تمارس الوظيفة النقدية إلى منتهاها، أي وصولاً إلى تغيير الوضع القائم غير المطابق للمثل العليا للمثقفين المتمنين إلى الإنتلجينسيا، بل أن البيطار يرى أن المثقف الذي يهتم فقط بالأفكار والتحليل الفكري والوقائع يكون منظراً، والذي ينشغل فقط بالأفكار المعيارية والتعليمية يكون أخلاقياً، وهو يصبح جزء من الإنتلجينسيا عندما يهتم بالنوعين ويوحدهما في نقد يرفض الأوضاع القائمة عن طريق الفكر المنضبط والمنظم. أما أهم ما يميز الإنتلجينسيا هو الوعي الثوري وهو الذي يبرز أثناء "الأزمات الكبيرة" مما يعني أن هذه الأزمات هي التي تفرز الإنتلجينسيا. ولقد حدد البيطار ثلاث سمات رئيسية للإنتلجينسيا وهي: ١- الوقوف على مسافات بعيدة عن النظام مما يمكن المفكر من تكوين نظرة موضوعية وكأنه ليس جزء منه. ٢- نقد ورفض النظام جزئياً أو كلياً. ٣-أن هذا التحديث يحدث في إطار وضع تاريخي معين، وهو أطار ثوري، أي يجب أن يكون التاريخ قد أفرز من عملياته الخاصة وضعاً يتميز بتناقضات جذرية بين نظام معين وقوى اجتماعية تاريخية جديدة عجز نظامها عن استيعابها، حتى يأتي دور المثقف أو الانتلجنسيا ليغير هذا الوضع(البيطار، ٢٠٠١، ص٦٧).

"فالأنتلجنسيا هو صاحب المعرفة أولاً والقادر على صياغتها عملياً في رؤيته للعالم والإنسان، ويحمل بديلاً للوضع القائم، مع توق جماعي نحو التماسك"(الطاهر، ١٩٨٨،ص٣١).

ويمكن تعريف الإنتجلنتيسيا "هي أكثر الفئات قدرة على التأثير في المجتمع إذا توفرت لها الظروف المناسبة. وتتميز هذه الفئة بصفات متعددة أهمها: التعليم الرفيع المستوى، التعامل بعمق مع الأفكار المجردة وتوليدها والتوليف بينها، الحياد الاجتماعي، الابتكار، فهم مختلف وجهات النظر، الالتزام بالقيم الرفيعة، وتبني المواقف الانتقادية تجاه أفكارها وأفكار مختلف الجماعات في المجتمع من

أجل تحقيق المثل العليا والكشف عن مدى تحقيق المجتمع لحرية الإنســان"(الأحمر، ١٩٩٠،ص٦٣-٦٥).

وعرف "جيرار ليكلرك" الانتلجنسيا "تعني النخبة المثقفة وهي فئةٌ اجتماعية تتألف من أنــاس يمارسون نشاطاً فكرياً، بحكم مهنهم، ومنهم رجال العلم والفــن والمهندســون والتقنيــون والأطبــاء والمحامون والمعلمون والجزء الأكبر من الموظفين، وهم ليسوا طبقة منفصلة، ذلك أنهم لا يشــغلون مكاناً مستقلاً في نظام الإنتاج الاجتماعي، وفي المجتمع الاستغلالي يتألف المثقفون وتنمو صفوفهم من أوساط الفئات الغنية" (ليكلرك، ٢٠٠٨، ص٧٩).

٢-: الهيمنة Hegemon

إن مفهوم الهيمنة مفهوم واسع ومشتت يختلف الباحثين في تحديده وذلك حسب المنظور الــذي ينطلق منه الباحث، والرؤية التي تؤطر ذلك المنظور، فالبعض يتحدث عن الهيمنة العسكرية، والبعض الآخر عن الهيمنة الاقتصادية أو الهيمنة السياسية أو الهيمنة الثقافية أو الهيمنة الفضائية، والكثير منهم يستخدم مفهوم الهيمنة مرادفاً لمفهوم (الغزو)، والحقيقة أن كل أنواع الهيمنة تعتمد بنسب عالية جــداً وبصورة مباشرة أو غير مباشرة على مقدار التقدم الاقتصادي والتقني الذي تصل إليه أية دولــة مــن دول العالم، ونرى بأن أسلوب الهيمنة قد اختلف عن السابق بفضل الثورة المعلوماتية. نجد في مفهوم الهيمنة أن العنصر الذي يرتكز عليه هو التسلط والإكراه. فالهيمنة وهي القيام على الشيء ، والمهيمن القائم على خلقه(بن منظور، ب ت، ص٢٣).

عرفها غرامشي Gramsci بكونهــا "القيــادة الأخلاقيــة والسياســية فــي المجتمع"(فاكــا، ٢٠٠٢،ص١١٦).

في حين عرفها R. G. Murdick على أنها" السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية على مقدرات الدول المختلفة"(Murdick,1975, p.438).

وتعرف الهيمنة على أنها " فرض ثقافة معينة من المتسلط على المتسلط عليه بشكل ظــاهر أو خفي"(الحنفي، ٢٠٠٠، ص٢٢٣).

٣-: الهيمنة الثقافية cultural hegemony

تعرف الهيمنة الثقافية بأنها ظاهرة ترمي إلى نشر ثقافة الطرف المهيمن وضــرب الثقافــات المحلية أو القومية من أجل سيادة نموذج واحد للتفكير ونشر قيم إنسانية معينة عميقــة هــو تعطيــل المعقول في ثقافة معينة عن الإبداع. تسطيع الوعي أي جعله مرتبط بالسطح وذلك متمثل في الصــور والمشاهد الإعلامية التي يغلب عليها طابع الإعلان الذي يستفز المشاعر ويحجب العقل بالتالي يــؤدي

إلى امتلاك الذوق وقولبة الفكر ومن ثم تغيير أنماط السلوك ويترتب على ذلك رؤية جديدة خاصة في المجتمع المستهلك عن الإنسان والمجتمع والتاريخ والكون ككل(العربي، ٢٠٠٥).

٤-: مفهوم الثقافة Culture

للثقافة تعريفات متعددة متباينة ومختلفة تبعاً لاختلاف المفكرين واهتمامهم وتخصصاتهم ومدارسهم الفكرية وبيئاتهم الاجتماعية والثقافية. أن كلمة ثقافة في اللغة العربية تعود إلى الفعل ثقف ، فقد جاء في لسان العرب ثَقِفٌ وثَقُفٌ حاذق الفهم ، وثقف الشيء هو سرعة التعلم ، وثقفت الشيء حذقته ، وثقفته أذا ظفرت به ورجل ثَقْف لقِفٌ أذا كان ضابطا لما يحويه قائماً أي خفيف حاذق لما يرمي اليه من كلام الناس وسريع الاخذ لما يرمي اليه باليد(بن منظور، ب ت، ص٩). إذا رجعنا إلى لفظ ثقافة (Culture) في الغرب ، وفي الفرنسية على وجه التحديد، "لأنها اللغة التي ظهرت هذه الكلمة فيها –قبل غيرها– في القرن السادس عشر على أغلب الآراء ، وانتشرت منها إلى غيرها" ، نستفهم على ما ينطوي عليه من دلالات متمايزين : حقل الفلاحة والإنتاج الفلاحي وثمرات ذلك الإنتاج "فهي مشتقة من أصل لاتيني قديم هو (Cultura) التي تعني فلاحة الارض " من جهة ، وحقل العبادة الدينية (Culte) وطقوسها وقواعدها من جهة أخرى ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر اكتسبت مضموناً جماعياً، فقد اصبحت تدل على التقدم الفكري الذي يتحصل عليه الشخص او المجموعات الانسانية بصفة عامة(حيمر، ٢٠٠٩، ص١٩).

وهناك العديد من المحاولات لصياغة مفهوم الثقافة، ولعل اشهر تعريف للثقافة هو ذلك الذي قدمه ادوار تايلور "Taylor" في كتابه الثقافة البدائية "Primitive Culture" حيث عرفها بأنها هذه المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والاخلاق والتقاليد والعادات والعرف وكافة القدرات والاشياء الاخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في المجتمع ما(Gerard, 1995, p.77).

يذهب معجم أكسفورد في تعريفه للثقافة إلى أنها "طريقة الحياة الخاصة لشعب من الشعوب متميزاً في نمط تفكيره ومعتقداته وسلوكه وعاداته وتقاليده وطقوسه وملبسه ولغته وموسيقاه وأدبه وفنه"(J. Asimpson ,1991, p.121).

وعرف "مالينوفسكي" الثقافة بأنها تشمل المهارات الموروثة والاشياء ، والاساليب والعمليات ، والافكار الفنية ، والعادات، والقيم ، وكلمة العادات التي اشار اليها مالينوفسكي تدخل مجال الدراسات الاجتماعية(رشوان، ٢٠٠٦، ص١٣).

كما وتعرف الثقافة بمعناها الذي يشمل الفن والأدب والسينما، والممارسات التمثيلية بكل أنواعها، تأخذ من، وتشارك في، بناء الثقافة من حيث هي أسلوب حياة، أو نظام للقيم والمعتقدات، والتي تؤثر تباعاً في الثقافة بوصفها ممارسة تمثيلية خلاقة وإبداعية(كينج، ٢٠٠٥، ص٢٠).

٥-العولمة الثقافية:

العولمة الثقافية بوصفها ايديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم، وتمثل ثقافة الاختراق بمعنى التطبيع مع الهيمنة وإشاعة الاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري الذي يشكل الهدف الأول والأخير للعولمة، لهذا فهي تهدف إلى إفراغ الهوية الاجتماعية من كل محتوى وتدفع إلى التفتيت من جهة، إضافة لزعمها موت الايديولوجيات، كما تؤيد وتسوغ هذه المشاكل من السيطرة والهيمنة من جهة أخرى(حشمت، ١٩٩٨، ص٤١-٥١).

العولمة الثقافية انها فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات. إنها رديف لاختراق الذي يجري بالعنف -المسلح بالتكنولوجيا- فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة(بلقزيز، ٢٠١١، ص٤٨).

العولمة الثقافية تهدف إلى السيطرة الثقافية الامريكية على سائر ثقافات العالم، عن طريق وسائل الاتصال والتكنولوجيا المتقدمة التي تنشر بواسطتها إمبراطوريات عالمية واسعة ثقافة السوق والاستهلاك، فتسعى إلى تكديس منظومة جديدة من المعايير التي ترفع من قيمة النفعية والفردية والنزوع المادي، الغرائزي المجرد من أي محتوى أنساني.

الفصل الثاني: المداخل النظرية في دراسة كل من المثقفين والهيمنة الثقافية

وهو الإطار الذي يستعرض المداخل النظرية والافكار والرؤى حول موضوع الدراسة وهو النخبة المثقفة وموضوع الهيمنة الثقافية.

أولاً: المداخل النظرية في دراسة المثقفين

نعرض في هذا الفصل أشهر الاتجاهات النظرية التي قدمت طروحات نظرية حول المثقفين كفئة اجتماعية، والدور الاجتماعي المنوط بهم، والمعايير التي تحدد هويتهم وتميزهم عن الفئات الاجتماعية الأخرى، بالإضافة إلى دور المثقفين في عمليات التحول والتغير الاجتماعي، ومن أشهر التصورات النظرية في مجال المثقفين، الرؤى التي قدمها كل من كارل مانهايم، ونيكولا بولانتزاس، وبيير بورديو، وأنطونيو جرامشي.

١-كارل مانهايم Mannheim

يرى كارل مانهايم أن المثقفين يمكن أن ننظر اليهم-وبصورة سبية- باعتبارهم فئة بلا انتماء طبقي محدد. ويبرر مانهايم تصوره هذا على اساس أن المثقفين قد تشكلوا من مختلف الطبقات الاجتماعية، وأن المثقفين يتلقون تعليمهم في وسط اجتماعي يساعدهم على رؤية المشكلات الاجتماعية والسياسية من مختلف المداخل، وليس من خلال مدخل و منظور واحد. وأن أفكار المثقفين لا تتحدد من منطلق طبقي، وأن عدم الانتماء الطبقي للمثقفين قد يمكنهم من أن يصلوا إلى مجموعة من الحلول السليمة من الناحية العملية للقضايا الاجتماعية الملحة، وهي الحلول التي لا تعبر عن وجهة نظر طبقية خاصة (بريم، ١٩٨٥، ص٢٩).

٢-نيكولاس بولانتزاس

يرى بولانتزاس، إن المثقفين هم فئة خاصة من موظفي الدولة، يدخلون في شبكة علاقات السلطة التي تعيد إنتاج النظام الرأسمالي، وعلاوة على ذلك يحدد بولانتزاس المثقفين كفئة داخل المجال السياسي، أو المجال العام. وبسبب موقعهم الخاص داخل علاقات الإنتاج الاجتماعية، كفئة خاصة من موظفي الدولة، فإن المثقفين يظلون في حالة نزاع مع المجتمع المدني الذي يختزله بولانتزاس في العمل اليدوي، أو ما يطلق عليه الجماهير الشعبية(فرج، ١٩٩٢: ١٨٨-١٨٩). ويتفق بعض الباحثين مع مقولة بولانتزاس بأن المثقفين يشكلون فئة اجتماعية، وليسوا طبقة اجتماعية، وأنهم يختلفون عما اعتبرهم بولانتزاس مجرد موظفي الدولة، أو مرتزقة يقومون بوظائف السيطرة الاجتماعية والسياسية بالنيابة عن النخب المسيطرة. فإذا كان هناك البعض منهم يقومون بهذا الدور فإن البعض الآخر، حتى لو كانوا ملتحقين بمؤسسات الدولة، ويرتبطون عضوياً بالطبقات المسيطرة، لا يمكن اعتبارهم مرتزقة، يقومون بوظائف النخبة المسيطرة(ليكلرك، ٢٠٠٨، ص٦٠-٦١).

٣-بيير بورديو P. Bourdieu

أن المثقفين عند بورديو ليسوا شريحة من الناس أعلى وأرقى من شرائح المجتمع الأخرى باعتبارهم يتمتعون بالعلم والمعرفة- كما تروج لذلك غالبية النظريات والمثقفون. وإنما الثقافة هي رأسمال عبر تاريخ طويل من العنف والاستبداد في البني العقلية للكائنات باعتبارها معرفة إنسانية أو كونية يستخدم فيها المثقفون براعتهم وإبداعهم للمساهمة في تعزيز وظيفتهم(بورديو، ١٩٩٦، ص٦).

فالمثقف عند بورديو ليس فرد في القطيع يتلقى الأوامر والأفكار باعتبارها بديهيات ومسلمات، ولكن له دوراً وتحديداً في مقاومة الأقوال المتداولة، ويرى أن ذلك فن ونوع من أنواع المقاومة. فالمثقف يطرح "المعتقد الجديد" "كبدعه" أي كأفكار ونظريات أو الممارسات المخالفة للآراء المعبرة الصحيحة والمعقولة بالنسبة للمعتقد المهيمن والمعتبر كمعتقد طبيعي يتوافق مع الأشياء والطبيعة

البشرية. فالمعتقد الجديد لا يؤمن فقط بإمكانية التغيير والتخلص من المعتقد المهيمن وهـدم الأفكـار والتصورات والمفاهيم السائدة لديه والمعتبرة كأفكار ومعتقدات صحيحه، بل يسعى إلى بنـاء رؤيـة جديدة تطرح توقعات مناقضة لتوقعات المعتقد المهيمن، بل يرى بورديو أن المعتقد الجديد يأمل في أن يتحول هذا الكلام والمعتقد الجديد من آراء ونظريات وتصورات ومفاهيم إلى كلام يعبر عـن حركـة وقوة بعد تجسده في عقول الناس وتصرفاتهم، أي أنه يأمل في تغيير ميزان القـوى لصـالحه. لـذلك يطرح بورديو مفهوم "الحديث البدعة" الذي يصطدم بالمعتقد المهيمن وحتى يؤدي هذا المفهوم وظيفته لابد أولاً من معرفة طبيعة الصراع والأطراف المتصارعة أي وضع الفئات المهيمنة التـي تكـرس نظامها وتعطي انطباعاً أنه طبيعي، والفئات المهيمن عليها والتي تتجه نحو الاستراتيجيات الانقلابية. وهنا يظهر دور "الحديث البدعة" في مواجهة المعتقدات المهيمنة من ناحية، ومن ناحية أخرى في دفع الناس والفئات المهيمنة عليها إلى التخلي عن هذه المعتقدات وتبني معتقدات جديدة. ومن ثم فالفئـات المهيمن عليها تقوم بالحديث البدعة والنقد الانقلابي البدعي لإدراكها لطبيعة التناقضات الموجودة فـي الواقع، بل وتسعى إلى فرض ميزاناً للقوى يتناسب مع وضعها الجديد(سـالم، ١٩٩٣، ص٢٣-٢٦). وفي ضوء ذلك يميز (بورديو) بين المثقف الإيجابي والسلبي بناء على دوره فالمثقف الإيجـابي هـو المثقف الذي يتمثل دوره في نقد الآراء، وفي التعبير عن آرائه بحريه في مواجهة القوى المسـيطرة، وفي تقدير الحجم الحقيقي لمشكلات المجتمع المعقدة ويقيمها التقييم الصحيح أما السلبي فهو الذي يهون من حجم وخطورة المشكلات وبالتالي الحلول المطروحة لها(Smith,1998, 224- 226p.).

٤-أنطونيو جرامشي:

إن فكر جرامشي يعد أولى المساهمات وأعمقها التي كشفت بجلاء عن العلاقة المعقـدة بـين البنية الفوقية والبنية التحتية والدور الحيوي الذي يلعبه المثقفون كفئة أو شريحة يمثلون عـن طريـق وظائفهم أهم وسيلة اتصال وتوطيد بين مستويات البنية الفوقية بما فيها السلطة السياسية وبين البنيـة التحتية للمجتمع، بل ويسند لتلك الفئة دوراً خاصاً فيطلق عليهم موظفي البني الفوقية.

لقد اعتمد جرامشي في تحديده لمفهوم المثقف على معايير جديدة تختلف عن المعايير السـابقة وتقوم على الوظيفة والمكانة التي يشغلها أو يقوم بها المثقفون في البنية الاجتماعية، وقد اتسع مفهـوم المثقف لدى جرامشي حتى وصل إلى القول أن كل الناس مثقفون ولكن ليس لكل إنسان وظيفة المثقف في المجتمع(جرامشي، ١٩٩٤، ص٢٥)، وهنا لا ينطلق جرامشي في تعريفه للمثقف من التفرقة بـين العمل الذهني والعمل العضلي أو على أساس العملية التعليمية ، بل ينطلق من المكانة والوظيفة التـي يقوم بها داخل البنية الاجتماعية، فالمثقف هو الذي يدرك المجتمع بطريقة اعتقادية بأنه رافـض دائـم ومرآة قوية تدعو وتساعد على تغيير وتحويل المجتمع، إن المثقف هو فيلسوف وفنان وذواق، يشارك

في تمثيل العالم والحياة من منظور رؤية شاملة معينة، يسير حياته وفق خط سلوك أخلاقي معين، ويساهم بالتالي في تعزيز رؤية شاملة أو في تغييرها، أي تشجيع أنماط تفكير جديدة، فالوظيفة والمكانة هما المعياران الأساسيان في تكوين المثقف وتتبدى هذه الوظيفة في نقد النشاط الفكري السائد في مرحلة معينه بحيث تتغير علاقة هذا النشاط الفكري السائد بالجهد العضلي باتجاه قيام توازن جديد بينهما، أي أن تلك العلاقة الجديدة هي شرط أساسي في تشكل وإنتاج المثقفين.

فجرامشي يذهب إلى أن كل جماعة اجتماعية تظهر إلى حيز الوجود في عالم الإنتاج الاقتصادي حيث تؤدي وظيفتها الجوهرية يتواجد معها عفوياً شريحة أو أكثر من المثقفين تمنحها التجانس والوعي بوظفيتها لا في الميدان الاقتصادي فقط، بل في الميدانين الاجتماعي والسياسي أيضاً (بيوتي، ١٩٧٥، ص٢١)، أي أن لكل طبقة اجتماعية مثقفيها الذين ينشئون بنشأتها ويرتبطون عضوياً بها، بل ويتحدد انتساباتهم الطبقية بحسب موقعهم من نظام الإنتاج، ولكن يظل علاقة المثقفين بعالم الإنتاج علاقة غير مباشرة، حيث يتوسط تلك العلاقة بدرجات متفاوتة نسيج المجتمع كله ومركب الأبنية الفوقية التي يعتبر المثقفون موظفوها.

ثانياً: المداخل النظرية لدراسة الهيمنة الثقافية

سوف ينصب الاهتمام هنا على توضيح النظريات المفسرة للهيمنة وفيما يلي عرضاً لأهم النظريات في دراسة الهيمنة الثقافية وهي الاتجاه البنائي التاريخي، ونظرية التبعية، وكالآتي:

١-الاتجاه المادي التاريخي:

من خلال الاتجاه المادي نستطيع تفسير الظاهرة في ضوء التحليل للتكوين الاجتماعي والاقتصادي في سياق مجتمعي. فعلى الرغم من الاسهامات التي قدمتها الماركسية التقليدية لفهم وتحليل طبيعة العلاقة بين النظام الرأسمالي، وبنية الثقافة في مجتمعات العالم الثالث، والنتائج المترتبة على طبيعة هذه العلاقة، والآليات التي مكنت الثقافة الرأسمالية من التغلغل في بنية مجتمعات العالم الثالث. فقد أغفلت الماركسية التقليدية تحليل الآليات الداخلية التي تكمن في بنية مجتمعات العالم الثالث، والتي ساعدت على تغلغل التبعية والثقافة الرأسمالية في هذه المجتمعات، خاصة الآليات ذات الطبيعة الثقافية(الحسيني، ١٩٨٥،ص٩٥-٩٦). وخلاصة القول فإن الفكر الماركسي التقليدي لم يعد كافياً لتحليل بنية الثقافة في مجتمعات العالم الثالث، والعلاقة بينها وبين النظام الرأسمالي العالمي والآليات التي يعتمد عليها في فرض ثقافته على مجتمعات العالم الثالث ومن ثم برزت الحاجة لتجديد الإطار الماركسي التقليدي لزيادة قدرته وفاعليته على تحليل الواقع المعاصر في ضوء التحولات التي شهدها هذا من خلال ذلك الواقع.

تبلور الاتجاه الماركسي الجديد والاتجاه النقدي، الذي يرى في البناء الاجتماعي القائم مرحلـة انتقالية في تاريخ الإنسان، لابد من تجاوزها إلى أخريات أكثر كفاءة، وأكثر عدلاً للإنسان. وقد أهـتم هذا الاتجاه اهتماماً واضحاً بظاهرة الاستعمار الجديد، أي تحقيق أهداف الاستعمار القـديم بأسـاليب جديدة من شأنه التأثير الواضح على الجواب السياسية والاقتصادية وفرض الثقافة الرأسمالية على هذه المجتمعات. ويذهب الاتجاه الماركسي الجديد إلى أن التغلغل الرأسمالي في مجتمعات العالم الثالـث لا يعتمد على الآليات الخارجية وحسب، بل ثمة آليات داخلية تكمن في بنية مجتمعات العالم الثالث، كان من شأنها المساعدة في هذا التغلغل، وقد أولى النظام الرأسمالي عناية خاصة بهذه الآليـات، وأعتمـد عليها لتحقيق أهدافه حيث استطاع تشكيل العديد من المؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فـي مجتمعات العالم الثالث، ووفقاً لمقتضيات النظام الرأسمالي واحتياجاته. أن سياسة التفرقة التي يمارسها الاستعمار الجديد في الدول النامية وسعيها إلى الحفاظ على كبار الموظفين الموالين للدول الغربية في هذه الدول، وتدعيم القوى الرجعية التي تحول دون التنمية، والتأثير الايديولوجي على مثقفـي الـدول النامية، وتغلغل المؤسسات الثقافية الغربية في هذه الدول، وتدعيم القوى الرجعية التـي تحـول دون التنمية، والتأثير على وسائل الاتصال الجماهيري(عبد المعطي،١٩٨١،ص٦٣). من خـلال صـياغة الرؤية الماركسية لواقع مجتمعات العالم الثالث، وطبيعة العلاقة بينه وبين المراكز الرأسمالية، يتضـح إسهام الماركسية في الكشف عن الابعاد الايديولوجيـة للنظـام الرأسـمالي العـالمي، ودور القـوى الاستعمارية في خلق وتكريس التبعية والتخلف في مجتمعات العالم الثالث.

٢-نظرية التبعية:

فهي تسهم في تفسير الظاهرة في ضوء المتغيرات العالمية الراهنة مع الأخذ في الاعتبار دور العوامل الخارجية انعكاسها على العوامل الداخلية. وآلياته واعتمدت التبعية الثقافية على النقاط التالية:

١-لا يمكن عزل الثقافة عن كل ما هو مجتمعي، اقتصادي، سياسي، اجتماعي.

٢-لفهم ابعاد أي ثقافة معاصرة يجب فهم جذور هذه الثقافة ومراحلها التاريخية.

٣-إن مجالات ومستويات التبعية الاقتصادية تؤثر بشكل غير مباشر على التبعية الثقافية.

٤-أن فهم التبعية الثقافية تقييماً ومواجهة يتطلب تحديد أهم خصائص الثقافة المحددة التي يحدث فيها فعل التبعية.

٥-تعد التبعية الثقافية حالة خاصة ونوعية من حالات التبادل الثقافي يمكن وصفه بأنه تبادل لا متكافئ لصالح الثقافة المهيمنة.

كان لابد أن يوضع تقويماً عاماً لمرحلة الاتصال الأولى بـالغرب عـن طريـق الاسـتعمار والبعثات وإرساليات التبشير والترجمة وفتح المؤسسات العلمية.

أن قبول نظرية التبعية دون وضعها تحت نظر نقدي تعني أن المجتمع الغربي وثقافته تعتبـر صورة نموذجية مثلى في كل شيء، بينما هو مجتمع مليء بالاضطرابات وفيه فوضـى وتضـارب وتمويه وذو قدرة هائلة على نقل العداوة إلى مجتمعات العالم الثالث بصفة عامة والمجتمعات العربيـة بصفة خاصة، فقبوله دون فرز نقدي يجعل حالنا معه حال المقلدين دون النظر إلى الاختلافات القيمية والثقافية بين النموذج الغربي والمجتمعات العربية(ابراهيم، ١٩٨٣،ص١٢٣-١٣١).

وهكذا اجتمعت الرأسمالية والتبعية الرأسمالية فهي وحدة جدلية جمعـت الاسـتعمار الجديـد والمناطق التابعة، وهي وحدة ذات طابع تناقضي، ولكن التناقض هنا لا يعني التضـاد وإنمـا يعنـي الاختلاف أو التفاوت فهما إذا جانبان مختلفان ولكنهما متكاملان يثبتان بعضهما البعض فيسـهم فـي تغذية وجود الآخر واستمراره الذاتي نسبياً، وفيما بعد ١٩٩١ انهيار الاتحاد السوفيتي وتدمير العراق، تغيرت التبعية إلى الخضوع حينما تحولت السيطرة الرأسمالية إلى هيمنة تتوسل أكثر مـن ذي قبـل بالأدوات العسكرية السياسية الاقتصادية أيضاً، المباشرة لفـرض سـلطتها أو إعـلاء إرادة المركـز الرأسمالية هامش الذات، ولذلك يحق لنا أن نوصف العلاقة بين الطرفين منذ نهاية التسـعينات بأنهـا علاقة الهيمنة-الخضوع. أن الغرب هو عالم الرأسمالية، بينما الشرق عالم التبعيـة الرأسـمالية ثـم الخضوع للرأسمالية. وبالإضافة إلى انتهاء وحدة العالم فقد انتهت وحدته على الجانب الذاتي أيضاً عبر حرب الخليج الثانية، الذي نتج عنها تدعيم الهيمنة الامريكية وترسيخ جذورها فـي الـوطن العربـي باحتلالها العراق واقتلاع الجذور الكامنة في الهوية القومية-الدينية وفي التطلعـات الطبقيـة لقـوى المجتمعات العاملة المعرضة لاستغلال العولمة ولذلك حق أن لقبها بالاستعمار الجديد(عيسى، ١٩٩٩، ص١٦٣).

الفصل الثالث: مواجهة الانتلجنسيا للهيمنة الثقافية الأمريكية

أولاً: نشأة الهيمنة الثقافية الامريكية وتأثيرها في الحياة الاجتماعية العراقية

تعتبر الهيمنة الثقافية من أخطر أنواع الهيمنة، فالتهيئة الثقافية من خلال وسائل الإعلام والمعلومات أمر ضروري قبل أي محاولة عولمة سياسية كانت أم اقتصادية أم عسكرية أم تعليمية...الخ، وبالتالي لا يمكن ظهور الهيمنة الثقافية ووجود الإنسان الاستهلاكي أو المادي أو غير المنتمي إلا من خلال فعل ثقافي يعتمد بالدرجة الأولى على الإكثار من المواد الترفيهية والمسلية والقاتلة للوقت بكافة أشكالها، اضافة إلى الإعلان المهيمن على برامج التسلية مع الاعلانات، فأصبح ذلك يصيغ ثقافة المشاهد وقيمه وحتى اخلاقياته، ونلاحظ من ذلك خطورة الثقافة وتأثيرها على كافة الجوانب الأخرى في الحياة وخاصة الثقافة الوطنية، والخصوصية الثقافية، الهوية، الانتماء، الولاء، العقيدة الدينية، القيم، العادات، التقاليد، طريقة التفكير، نمط الحياة م المأكل والمشرب والملبس والموسيقى ومفهوم الحرية والمقاومة والصمود والعنف والارهاب ومظاهر التعبير عن الفرح والحزن، والسلوك بوجه عام. ومن هنا تأتي خطورة العولمة الثقافية حيث أنها لا تقتصر على الجانب الاقتصادي وحده(هوبر، ٢٠١١، ص١٢٤). فهي تعمل على انتقال الأفكار والمعلومات والأمراض الفكرية والمشكلات الاجتماعية، وأنها تتسبب في ردود أفعال شديدة الحساسية، تتراوح بين المودة والحقد، وتعمل على إنتاج الهويات والمؤسسات العابرة للحدود القومية، وهي ثقافة الأمركة، من خلال التسهيلات التكنولوجية والأسواق الحرة التي تدعم نموذج العولمة. أن نتيجة سياسة الخصخصة وما نتج عنها من وجود بطالة وعدم توفر الحصول على الخدمات مثل الصحة والتعليم، وهذه الخدمات يمكن الحصول عليها عن طريق الخدمات العامة المدعمة من الدولة، وتكون ذات كفاءة قليلة وإما تكون عن طريق المستشفيات والمدارس الخاصة، وتكون باهظة الثمن وتكون الكفاءة عالية فيها، ومن هنا تدعم الهيمنة والسيطرة الاقتصادية والرأسمالية أهمية بالغة لفئات الشعب المختلفة مما ينتج عه هيمنة ثقافية وتبعية ثقافية لثقافة الولايات المتحدة الامريكية وتدعيمها، ومن هنا ينشأ الاحساس للفقراء بالنقص ولا بد لهم أن يكونوا تابعين، وبهذا يسهل اختراق الثقافة التي تريد أن تهيمن وهي الثقافة الامريكية، وبذلك يسهل اختراق الثقافة الامريكية للثقافة القومية ووجود المثقفين التابعين الذين يشيدون بإنجازاتها تلك الثقافة الامريكية آمالهم في الوصول إلى الدرجة من تلك الثقافة وذلك التقدم الذي ينعم به من يدينون بالولاء للثقافة والسياسة الامريكية، وبذلك يسهل الاختراق المباشر للثقافات التي يتمسك بها الشعب، وما ينتج عنه من اختراق ثقافي ووجود المثقفين التابعين لتلك الثقافة وتدعيمها. وتشير الظواهر إلى أن التوجه الامريكي الحالي في مستقبل العلاقات العراقية الامريكية تدور في تعظيم

القدرة الاقتصادية الامريكية، وقد أتجه الطرفان ابتكار آلية الشراكة الاقتصادية والتي تسعى لتحقيق الفائدة للطرفين سواء في مجال الاستثمارات وخاصة النفطية منها، أو التجارة أو نقل التكنولوجيا، ويتوقف النجاح المستقبلي على قدرة هذه الآلية على العمل المشترك. وأن الولايات المتحدة تتبنى سياسة دولية جديدة لامتلاك أكبر قدر ممكن من الأسواق العالمية، تتبنى الولايات المتحدة مبدأ الديمقراطية لزيادة رقعة الدول التي تتبنى النظم الديمقراطية وزيادة مساحة المشاركة الشعبية في صنع القرار. ومن هنا يظهر أول مظاهر الهيمنة الامريكية على النواحي الاقتصادية والاستثمارية ونقل التكنولوجيا من الولايات المتحدة إلى العراق. ولما كان اتجاه السياسة الثقافية الامريكية إلى الهيمنة على ثقافة الشرق الأوسط، ومنها العراق، ونؤكد تمسك كثير من العراقيين بثقافتهم القومية حتى لا تضيع الهوية الثقافية العربية والاسلامية.

أن الجهات القادرة اليوم على استثمار التكنولوجيا المتطورة في الاتصالات والمعلومات جهات غربية وامريكية بوجه خاص، توفرت لها الإمكانيات الضخمة التي تؤهلها للتفوق واكتساح المنافس لها، ومعظم الانتاج الإعلامي والثقافي الذي يغطي البث الفضائي والأرضي والقنوات الاعلامية الاخرى، وكذلك معظم محتوى شبكة الانترنيت هو نتاج غربي وأمريكي في الأغلب. وهذه المواد الاعلامية الغربية ليست فارغة المعنى أو محايدة في أفكارها، بل تحمل فكراً محدداً وتعبر عن ثقافة معينة هي ثقافتهم الخاصة بكل ما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوك(توملیسون، ٢٠٠٨، ص١٣٣). باختصار تمثل وجهات نظر حضارية معينة لها خصائصها المحددة. وهكذا فإن الهيمنة تبدو في المجال الثقافي أتجاه إلى إعادة صياغة العالم وفق ثقافة معينة هي الثقافة الغربية الامريكية بوجه خاص. ولا يتصور أحد أن هذا مجرد وهم ومبالغة في الإحساس بالخطر، بل أن تلك هي الحقيقة. ومن أهم وجود الهيمنة الثقافية هو سيادة الثقافة الكونية للقطب الأوحد وانعدام الأمن الثقافي للثقافات الأخرى، وأن تلك الهيمنة تروج إلى ثقافة مغايرة لما تربى عليه العالم العربي، وتلك الثقافة تروج إلى أفكار الإباحية والقيم الاستهلاكية والعنف وبث القيم والاخلاق والعادات سواء كانت تلك القيم والاخلاق مناسبة لشعوب العالم الذي نمى وتربى على ثقافة تخالف الثقافة الامريكية، من الاخلاق والقيم والعادات والتقاليد والدين وخاصة الشعوب العربية التي يتحكم في ضميرها واخلاقها الدين الاسلامي، ومع ذلك الغزو الفكري اصبحت القيم الدينية والاخلاقية في تراجع لانبهار المجتمع العربي الذي اصبح يعيش عصر من انتقال الثقافة الامريكية في الحياة الاجتماعية كالمأكل والمشرب والملبس وكيفية معالجته لأمور الأسرة والخلافات الأسرية على الطريقة الغربية الامريكية، وأصبح هو المجال الثاني الغير مباشر للغزو الفكري الأمريكي للشعوب العربية، ويبث ذلك عن طريق السينما والمسرح والقنوات الفضائية، ومن هنا وجد أن تأثير نمط الحياة الاجتماعية الامريكية تظهر بين الشباب المجتمع

العربي من طلاب المدارس والجامعات وتأثير ذلك في داخل المدرسة والجامعة من عنف، وتناول المخدرات، وتغير اللغة، واستعمال اللغة الانكليزية بكثرة في التحدث باللغة العربية. وهذا ما تأثرت به الأسرة العراقية في ظل الهيمنة الثقافية على الوطن العربي من خلال القطب الأوحد الغربي الأمريكي.

ثانياً: مظاهر الهيمنة الثقافية وآلياتها في الحياة الاجتماعية العراقية

أن العولمة هي انتصار الحضارة الغربية التي سوف تفرض قيمها وأساليبها التنظيمية وأنماط الحياة الاجتماعية على شعوب العالم في وجود الغربة الكونية، ولذا فأن موضوع الغربة الكونية هي محاولة لطمس التناقضات الاجتماعية والثقافية الجديدة الناتجة عن التكنولوجيا الحديثة في ظل التمركز والاحتكار في الدول الكبرى، ويجب علينا العمل جاهدين للإفلات من عمليات التهميش في ظل الهيمنة الثقافية وإذابة الثقافة العربية في طيات الثقافة الغربية ومحوها. وأن الهيمنة تبدو في جميع مناحي الحياة بداية من الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ووصف الثقافة المهيمنة في ظل النظام الدولي الجديد أنها تغتصب حق الإدراك عن طريق سلب حرية التأويل. هذه الثقافة التي عدتها اللغة وسلاحها الخطاب وصاحبها استراتيجية الاعلام التي يستخدم فيها المتسلطون أنه خطاب لقمع حرية الفكر في أن يفكر خارج دوائر المناورة(عبد الفضيل، ١٩٩٩، ص١٧٢).

وبهذا أرادت الولايات المتحدة الامريكية إخضاع الدول والشعوب لإرادتها عن طريق خلق صراعات ثقافية متمثلة في إفراز أشكال جديدة للهيمنة عن طريق خلق ومفاهيم، وزرعها ليلتف العالم حولها مثل العولمة–العالم ذي القطب الواحد–، نهاية التاريخ، صراع الحضارات، الإدارة السياسية، ثورة الاتصالات، العالم قرية واحدة، الكونية وكلها مفاهيم الغرض منها سيطرة المركز على الاطراف، وتجعل المثقفين في العالم الثالث يلهثون بالشرح والتفسير والتعليق والتهميش دون أن يعلموا أن التهميش هو عبارة عن جذب دول الأطراف إلى المركز وتهميش الأطراف لصالح المركز بتقليد الأطراف مع الانبهار بالحياة والمجتمع الغربي الامريكي، واجتهد المفكرين والمثقفين العرب بتفسير كل مصطلح جديد يشير إلى الثقافة حتى استطاع الغرب الامريكي أن يجعل العالم من حوله يتخلى عن خصوصيته الثقافية والمناداة بوجود ثقافة عالمية مركزية يتبعها الاطراف من حوله. ومن هنا يبدأ الظهور مخاطر ليس فقط على الثقافة ووجود الهيمنة الثقافية الأمريكية عليها ولكن وجود مخاطر متمثلة في الاستقلال الوطني والإرادة الوطنية والثقافة الوطنية، وعندما تبدأ دولة من الدول التمسك بثقافتها وهويتها ووطنيتها يبدأ النظام العالمي المسيطر في الدخول عن طريق حقوق الانسان، وحقوق الأقليات، حقوق المرأة، حقوق الطفل، وانتشار البحوث عن الأقليات العرقية والطائفية من أجل إبراز

الخصوصيات والهويات والتعديات الثقافية للقضاء على وحدة الثقافة، ووحدة الوطن، ووحدة التاريخ، ووحدة المصير. ولمواجهة الهيمنة الثقافية من قبل الثقافة العربية يمكن الاشارة اليه للتمسك بالثقافة العربية في ظل تلك الهيمنة الثقافية وهي تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ترتكز على عملية التخطيط التنموي عملية شمولية، وللثقافة بعد أساسي من أبعاد التنمية الشاملة، وعلى علاقة تأثير متبادل مع نواحي التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ثالثاً: مواجهة الانتلجنسيا العراقية للهيمنة الثقافية الأمريكية

إن مسؤولية المثقف العربي تجاه مخاطر لعولمة والهيمنة الثقافية، والغزو الثقافي، والعنف الثقافي، تتمثل في الحوار مع الثقافات الاخرى واختبار الأفكار وتحليلها بما يلائم ظروف العالم العربي الاسلامي، وأخذ المناسب مع ظروف المجتمع، ومدى تطوره الحضاري. إن لكل أمة من الأمم منظومتها القيمية المشتملة على العقائد ومجموعة القواعد العامة التي على اساس نظامها العام ومرجعيتها العليا. وتحرص كل أمة ومثقفوها على حماية هذه القيم والتمكين لها في أجيالها المتعاقبة من خلال مؤسساتها التربوية والتعليمية، ومنظومتها الثقافية، ابتداء من الأسرة والمنظومة الاعلامية والثقافية والمجتمع. وفي ظل التقدم التقني الهائل في وسائل الاتصال والمعلومات حيث زاد انتشار الأقمار الصناعية التي تجوب الفضاء بشكل كبير وتبث سيلاً من المعلومات والبرامج والأفكار والتي لا يمكن التحكم في المعلومات التي تبث عن طريق شبكة الانترنيت التي سوف يكتمل المعلومات لديها من خلال السنوات القادمة حتى تحتوي على جميع المعلومات والمعرفة التي حصل عليها الانسان خلال الخمسة آلاف عام من التاريخ المكتوب(عبد الحافظ، ٢٠٠٥، ص٤١-٤٧).

أن المثقف ليس بالضرورة خريج التعليم العالي أو الذي حصل على قسط كافي من التعليم ، كما أنه ليس الفني المتخصص ، فقد تكون هذه المحددات صالحه للتطبيق في مجتمعات أخرى غير مجتمعاتنا العربية ففي تصور بعض الدول يوجد خلط في مفهوم المثقف بالمتعلم، ويصبح كل من حصل على قسط من العلم في نظرها مثقفاً وبالتالي نحن في حاجة إلى تصنيفات اخرى في ضوء رؤية واقعنا العربي وظروفه الخاصة، إذ تشير الخبرة التاريخية في مجتمعاتنا العربية أنه إلى جانب الانماط والشرائح المتعلمة والمتخصصة والفنية نجد نمط آخر نشير اليه بنمط (المثقف بالخبرة) ونعني به ذلك الشخص الذي أوتي حظاً من المعرفة تشكل وتطور من خلال الخبرة الممارسة اليومية أو من خلال الصراع مع الحياة المعيشية هذا القدر المعرفي الذي يتيح له توصيف قضايا مجتمعه ، يدفعه نحو ايجابية توظيف هذه المعرفة في تحليل المجتمع ونقده. وما يقابله من قضايا اجتماعية واقتصادية

وسياسية، متخذاً ايديولوجية خاصة، أي موقفاً ملتزماً مساهماً في وضع بدائل النظام القائم او وضـــع حلول عملية تنبؤيه لمجتمعه.

على الرغم من الخلاف والجدل حول تحديد وظيفة المثقف ودوره في المجتمع فإن ثمة أتفاقـــاً على أن المهمة الأساسية التي يجب أن يضطلع بها المثقفون في أي مجتمع هي إبراز المشكلات التـــي يعاني منها المجتمع وبخاصة تلك المشكلات المتعلقة بالأمن والســـلم الاجتمـــاعي وتـــوفير العدالـــة الاجتماعية ومؤازرة حقوق الإنسان وخاصة أن لهم القدرة الأدبية والمعنوية على الوقوف إلى جانـــب الحقوق المنزوعة والدفاع عنها والصمود أما القوة الغاشمة والإجراءات القمعيـــة(أبو زيـــد، ٢٠٠٥، ص٥٠).

وقد يسر هذا التقدم التكنولوجي والتقني الحصول على المعلومات والمعارف بسهولة ويسر من مصادرها ودون أي قيود. وبهذا فإنه يسر على الدارسين والباحثين الحصـــول علـــى المعرفـــة فـــي المجالات المختلفة، وتعد هذه أعظم فائدة لهذا التقدم العلمي التكنولوجي، ويجب على القائمين بعمليـــة التعليم أخذ ما يفيد من هذه العلوم للنهوض بالعلوم المختلفة في الدول النامية، ونحن بصدد عن الـــدول العربية والعراق، والبعد عن سلبيات تلك التكنولوجيا والتقنيات ضررها فـــي المؤسســـات التربويـــة والتعليمية وتوجيه منظومتها الثقافية إلى الإفادة من تلك التكنولوجيا والتقنيات وعدم الانجـــذاب الـــى سلبياتها الواضحة من الأفلام الاباحية وإشاعة الثقافات المغايرة لثقافتنا الدينية والقيم الأصلية، وتوضح ذلك عن طريق القنوات الاعلامية من خلال الافلام والمسلسلات الهادفة التي تحـــافظ علـــى تماســـك الاسرة وإعلاء القيم الايجابية وتوضيح القيم السلبية وما تبثه من فساد وانحلال في المجتمع وأن أغلب المحتوى الذي يتم بثه في وسائل الاتصال تلك يحمل مضامين سلبية منافية لعقائدنا وقيمنـــا العربيـــة الاصيلة ويترك أثاراً سلبية في إدراك ووعي ووجدان المتلقين، وعلى وجه خاص الناشئة منهم، وهي تمثل خطراً كبيراً على ادراكهم ووعيهم بقيمهم ومعتقداتهم الاصيلة نتيجة ما تقوم به من عملية إحلال تدريجي لقيم بديلة تنوء بهم عن قيمهم ومعتقداتهم، وتسطح معارفهم، وتُشغل عقولهم عن مصـــالحهم ومصالح مجتمعهم، ويأتي دور المثقف في وجوده في المجتمع وفهمه الصحيح لهذه الامور التي تمـــر بها منظومة القيم والمعتقدات للمجتمع العراقي واساسيات الثقافة العربية من حمايـــة اصـــول الثقافـــة العربية وحماية النشيء من الوقوع في سلبيات الثقافة الغربية الامريكية العالمية والتوجيه يأخذ المفيد منها كي يقف على مراحل التقدم فيها دون اللجوء إلى سلبياتها ومن وسائل الاعلام التي تســـاهم فـــي عملية التنشئة الاجتماعية للنشيء التلفزيون وهو يجمع بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية وهي لها تأثير عميق مما يزيد من سهولة استيعاب الرسالة الموجهة للطفل فهو يتفـــوق علـــى وســـيلة الكلمـــة المطبوعة والمكتوبة، وبهذا فإن النماذج الجيدة وغير الجيدة على شاشة التلفزيون عـــادة مـــا يقلـــدها

الاطفال الصغار، ومن السلبيات يُبثها التلفزيون برامج العنف وعلاقته بالعنف لدى النشئ، والتناقض بين الواقع الذي يعيشه وما يشاهده في تلك المسلسلات من اختلاف الملبس والمأكل والمناظر الاباحية.

يطرح "بلقزيز" مهمات مترابطة ومتشابكة يتوقف عليها قيام فعل تاريخي حقيقي للمثقف العربي وهذه المهام هي:

١-التحرر الذاتي: حيث تكشف تجربة المثقفين العرب المعاصرة عن أوجه من الخلل في سلوكهم الثقافي إزاء المجتمع العربي، فهم مغمورون بجملة من النزعات المرضية والمسئولة عن تواضع أدوارهم وبالتالي هم بحاجة إلى التحرر الذاتي من تلك النزعات وهي:

أ- النخبوية والانعزالية. ب- الشعبوية الطبقية الاختزالية. ج- الحزبية (السياسية).

٢- النقد المزدوج: فلقد باتت الحاجة ماسة عند المثقف العربي إلى ممارسة النقد المزدوج نقد كلاً من السلطة، ونقد المجتمع. فأما نقد السلطة فلا يتعلق حصراً بنقد سلطة الدولة فحسب، بل نقد كل سلطة سياسية بما في ذلك سلطة المؤسسة الحزبية، أما نقد المجتمع فينبغي أن يذهب إلى حد بناءً تصورات بديلة لكيفية إعادة هيكلة بناءه.

٣- صوغ المشروع التاريخي: وهي أضخم المهام التي تفرض نفسها على المثقف، ومن ثم الحاجة الملحة إلى المثقف التاريخي للقيام بتلك المهمة وهو المثقف الذي لا يكف عن ممارسة النقد البناء ضد مطلقات الفكر والممارسة لتحرير العقل من الجمود ، والذي يعرض بنيان الدولة والمجتمع للنقد والتقويم، والذي ينتصر للحرية ضد الاستبداد، وللديمقراطية ضد الاحتكار، وللوحدة ضد التجزئة، وللاستقلال ضد الهيمنة، وللتنمية ضد التبعية، ولروح التضامن الجماعي ــ الوطني والقومي ــ ضد مختلف أشكال الفئوية، أنه المثقف الذي يحترم الشعب فيتعلم منه، ثم يلتزم بقضيته فيؤدي دور تنمية وعي الشعب(بلقزيز، ٢٠٠١، ص٢١٣-٢٣٢).

أن المثقف العربي مطالب بالدعوة إلى تكوين ثقافة ذات مضمون قومي وطني مرتبطة بالحياة المعيشية للجماهير، يعكس هذه الحياة بصدق وبوعي ويبرز عناصر الثقافة الإنسانية القائمة على التكافؤ وفهم التراث الايجابي في ضوء العصرية. فهو يجب أن يدعو إلى المساهمة في إبداع نظرية قومية في الثقافة تعُد الإنسان العربي لمواجهة قضايا التغريب والاستهلاك وتزييف الوعي الاجتماعي لدى الجماهير وقد يكون السبيل هو المشاركة والالتحام مع الجماهير، وبذل الجهد لتعليم أبناء هذه البلدان الأسلوب النقدي في التفكير الحر محللاً قضايا الواقع العربي موضحاً المزيف والحقيقي وربما يكون ذلك كفيلاً بقيام ثقافة واعية وملتزمة وواقعية. هذه هي جملة المهمات التي ينبغي أن يؤديها المثقف العربي والتي تراجع المثقف العربي عن أدائها وأهمها الدور الإصلاحي والنقدي، والتي هي

انعكاس لأزمة المثقف العربي والجماعة الثقافية والتي يمكن ايجازها (والتي بتجاوزها يمكن استرجاع الدور الحقيقي للمثقف العربي) في:

١- أزمة ازدواجية المثقفين والجماعة الثقافية.

٢- أزمة اغتراب المثقف والانفصام بين الماضي والحاضر.

٣- أزمة العلاقة مع السلطة.

٤- أزمة العلاقة مع المجتمع(هلال، ١٩٧٩،ص٣٩).

يرى جرامشي أن أهم ما يميز المثقفين عن بقية الجماعات الاجتماعية هو الدور الخاص بالذي يلعبونه في عالم الإنتاج. أن دور المثقفين هنا ليس دوراً مباشراً وإنما يتوسط البنى الفوقية التي يقوم فيها المثقفون بدور وظيفي. بل أن جرامشي يرى أن المثقفين هم أولاً منظموا الوظيفة الاقتصادية للطبقة التي يرتبطون بها عضوياً، وهم ثانياً حملة وظيفة الهيمنة التي تمارسها الطبقة السائدة في المجتمع المدني، وهم ثالثاً منظموا الإكراه الذي تمارسه الطبقة السائدة على سائر الطبقات بواسطة الدولة(شكري، ١٩٩٠،ص٢٣-٢٤). وبناء على ذلك يحدد جرامشي مهمات المثقف العضوي في:

١-إكساب المجموعة الاجتماعية تجانسها ووعيها لوظائفها ليس فقط في المجال الاقتصادي ولكن غالبا في المجالات الاجتماعية والسياسية(جرامشي، ١٩٩٤، ص١٢)، بل أن جرامشي يرى أن المثقفون العضويون هم العنصر المفكر المنظم في طبقة اجتماعية سياسية معنية وتتميز وظيفتهم في توجيه أفكار وتطلعات الطبقة التي ينتمون إليها عضوياً، فالكتلة البشرية لا تتميز ولا تصير مستقله من تلقاء ذاتها من دون تنظيم نفسها بالمعنى الواسع، فلا تنظم من دون المثقفين أي بدون منظمين وبدون قادة.

٢- يرى جرامشي أن أهم وظيفة بالنسبة للمثقف هي تقديم التصور المتكامل والمتجانس للعالم فالمثقف عند جرامشي ليس انعكاساً للطبقة الاجتماعية، إنما هو يلعب دوراً هاماً في تحقيق التجانس لتصورها للعالم(بيوتي، ١٩٧٥، ص٢١).

٣- لا نستطيع الحديث عن دور المثقف بمعزل عن مفهوم الهيمنة الذي طرحه جرامشي فالهيمنة عند جرامشي تعني أسلوب الطبقة البرجوازية في التحكم حتى في الأنظمة الديمقراطية وذلك بسبب قدرتها على ممارسة القيادة الأخلاقية والسياسية بحيث تدفع الفلاحين والعمال إلى مؤزراتها ومن ثم يرى جرامشي أن نجاح أي نظام سياسي مرهون بابتداع، كتلة تاريخية تتحد حول مشروع الهيمنة يسمح للطبقة المهيمنة بتكوين تحالفات تجذبها نحو أفكارها(Gramsci, p. 116, 418). وهنا يصك جرامشي فكرة جديدة وهي أن المجتمع المدني (نسق مهيمن أو جهاز مهيمن) ويقصد بذلك أنه يسوده الاجماع، وهذا الاجماع عند جرامشي، ضربان هما:

١-سلبي: وهو أن الكل في وحدة مع الدولة، ومن هذه الحالة يظهر "دكتاتور بـلا هيمنـة" وتـدخل الجماهير في الدولة ولكن بروح سلبية(وهبة، ٢٠٠٩، ص٢٤). ويظهر هنا المثقف المتماهي مـع السلطة وخطابها والذى توكل له الدولة والطبقة الحاكمة دور الضابط لممارسة الوظائف الثانويـة المتعلقة بالهيمنة والسلطة السياسية.

٢-إيجابي: وهو الذي يرتكز على طبقة شاملة تدفع المجتمع برمته إلى التقدم، ومن ثم تصبح الهيمنـة مرادفه للديمقراطية، وهنا يبرز دور المثقف العضوي المضاد للسلطة الذي يسـعى إلـى تأسـيس مشروع للهيمنة المضادة أي بناءً قيادة سياسية وأخلاقية بديلة وثقافة جديدة، لذلك كرس جرامشـي نفسه ليعمل على تدريب المثقفين العضويين لأنهم سوف يحاولون في النهايـة فـرض سـيطرتهم الثقافية بإدخال مجموعة جديدة من المثاليات لتحل محل تلك القيم الخاصة بفترات القهر السياسـي، حيث تصبح الأفكار هي السلاح الرئيسي في المقاومة(اسماعيل، ١٩٨٥،ص٣٣٦). وهنـا يؤكـد جرامشي في طرحه لدور المثقف في إيجاد هيمنة مضادة على فكرة المثقف الجمعـي أي الحـزب الطليعي، وهو الذي يراه الطريق الذي تستطيع من خلاله إيجاد وبناء هيمنـة مضـادة للطبقـات الحاكمة وكسر هيمنتها السائدة. وفي ضوء طرح جرامشي يتضح لنا الدور الذي يلعبـه المثقـف (الناشط) في حركة مناهضة العولمة والحرب فكرياً وحركياً فهو مثقف ملتزم يسعى لتشكيل هيمنة مضادة لهيمنة قوى العولمة ومؤسساتها وذلك من خلال نشر ثقافة جديدة، فهو يحلم برؤية جديـدة لعالم أفضل وأكثر إنسانية تحل محل الوضع القائم.

الفصل الربع: الإجراءات المنهجية للدراسة Study methodology

يتطلب التمهيد للإطار الميداني تحديد المنهجية التي تعتمدها الدراسة في ضوء تحديد مشـكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها والأساليب المتبعة في جمع البيانات وتحليلها، فضلاً عـن وصـف عينـة الدراسة ومسوغات اختيارها.

أولاً: مجتمع وعينة الدراسة Study population and sample

اقتصرت عينة الدراسة على مدينة الديوانية تضم (٤٤ مبحوثاً)حيث تضم عـدد كبيـر مـن الكتاب والمفكرين والمثقفين بالعراق، واعتمدت الدراسة على أسلوب العينة العمدية (غير الاحتماليـة) في اختيار المفردات، حيث روعي تمثيل العينة لمنطقة الدراسة وهي مدينة الديوانية، والحصول على مفرداتها من خلال اختيار بعض المثقفين المعروفين للباحث من التيارات الفكرية المختلفة، والاعتمـاد على البعض منهم في التوصل إلى الآخرين، وذلك عن طريق الطلب من بعضـهم ترشـيح بعـض زملائهم للباحث، وأخذ عناوينهم أو الاتصال بهم، أو إرسال أداة الاستبيان إليهم للإجابة عن تساؤلاتها.

ثانياً: منهج الدراسة

في ضوء موضوع الدراسة الراهنة، كان لزاماً على الباحث الاستعانة بمناهج ملائمة لمعالجة الأبعاد والقضايا ذات الصلة بظاهرة الهيمنة الثقافية ودور المثقفين في مواجهتها. وقد تم استخدام تلك المناهج لتوفير البيانات لخدمة البحث ولربط الحاضر بالماضي وتصنيف الحقائق والبيانات وتحليلها ثم استخلاص النتائج وتعميمها. وهي:

١-**المنهج التاريخي** : يعد المنهج التاريخي الاسلوب الرئيسي القادر على اكتشاف أعماق الظاهرة والوصول إلى نتائج أكثر دقة، حيث أنه يتيح فرصة المقارنة بين نوعية الابنية الاجتماعية المختلفة وانعكاساتها على تطور ظاهرة الهيمنة الثقافية وآليات المثقفين في مواجهتها، بوصف هذا التطور نتاجاً للبنية الطبقية في كل مرحلة تاريخية.

٢-**المنهج الوصفي:** تستخدم هذه الدراسة الاسلوب الوصفي الذي يستهدف جمع بيانات كمية عن موضوع الدراسة، وتفسير هذه البيانات وتحليلها تحليلاً كيفياً دقيقاً وصولاً إلى نتائج ودلالات ذات أهمية عملية من خلال الاستمارة المعدة لذلك.

ثالثاً: أدوات الدراسة Study tools

١-مصادر جمع البيانات

أ- في الجانب النظري: تم توظيف أساليب بحث عديدة لغرض تغطية البيانات المطلوبة لإعداد الجانب النظري والميداني فقد استعان الباحث في الجانب النظري بما توافر لديه من مرجعيات علمية عربية وأجنبية (دراسات وكتب ومقالات وبحوث وصحف وانترنت ومؤتمرات). ذات صلة بموضوع الدراسة.

ب- في الجانب الميداني:

اعتمد الباحث استمارة الاستبيان بوصفها أداة رئيسة في جمع البيانات، وقد روعي في صياغتها شمولها على متغيرات الدراسة المعتمدة لتخدم أهدافها وفرضياتها بالاستناد إلى الجانب النظري. وتطبق على عينة البحث وهم الافراد المثقفين المهتمين بموضوع الدراسة.

٢-أدوات جمع البيانات

يتم جمع البيانات عن طريق استمارة الاستبيان التي يتم معالجتها إحصائياً للوصول إلى النتائج الدقيقة التي يمكن تعميمها عل مجتمع البحث، وقد احتوت استمارة الاستبيان على:

١-البيانات الشخصيةَ تضمنت سن المبحوث، النوع، الحالة التعليمية، نوع المهنة.

٢-مقياس اتجاهات المثقفين حول الهيمنة الثقافية الامريكية، يتضمن إدراك المثقفين للعوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى الهيمنة، ورفض المثقفين العراقيين لها.

رابعاً: مجالات الدراسة

هناك ثلاث مجالات للدراسة، هي المجال الجغرافي، المجال البشري، المجال الزماني، وسوف نحاول الإحاطة بهذه المجالات:

١-**المجال الجغرافي:** ويتمثل المجال الجغرافي للدراسة في مجتمع محافظة الديوانية، كون هذا المجتمع ينتمي اليه الباحث بحكم المولد والنشأة، الأمر الذي ييسر إمكانية الإقامة، وتوطيد العلاقة مع المبحوثين، وتيسير جمع البيانات.

٢-**المجال البشري:** يشمل المجال البشري للدراسة الراهنة على المبحوثين من الذكور والاناث بمدينة الديوانية من النخبة المثقفة الذين يكونوا على دراية تامة بالأحداث الجارية في المجتمع العراقي وما يرتبط بها في المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي.

٣-**المجال الزماني:** الفترة الزمنية التي أجريت فيها الدراسة كانت محصورة بين (٢٠١٢/١٢/١-٢٠١٣/٢/١).

خامساً: عرض بيانات الدراسة الميدانية

أولاً: البيانات الأساسية

١-العمر:

جدول رقم(١) يبين فئات العمر لعينة الدراسة

الفئات	العدد	%
أعلى من ٣٥	٢٥	٥٦.٨
أقل من ٣٥	١٩	٤٣.٢
المجموع	٤٤	١٠٠

يتضح لنا من الجدول رقم(١) أن غالبية عينة الدراسة في الفئة العمرية من (أعلى من ٣٥ عام) بنسبة (٥٦.٨%) ، وأن النسبة الباقية وهي (٤٣.٢%) يمثلون فئات العمر من الشباب.

٢-النوع :

جدول رقم(٢) يبين أفراد عينة الدراسة حسب النوع

النوع	العدد	%
ذكر	٣٦	٨١.٨
انثى	٨	١٨.٢
المجموع	٤٤	١٠٠

يتضح لنا من الجدول رقم(٢) ارتفاع نسبة الذكور في عينة الدراسة حيث تصل إلى (٨١.٨%)، فحين بلغت الإناث في عينة الدراسة حوالي (١٨.٢%)، وهذا يدل على أن نسبة الإناث أقل من نسبة الذكور.

٣-الحالة التعليمية:

جدول رقم(٣) يبين الحالة التعليمية للمبحوثين

الحالة التعليمية	العدد	%
دبلوم	٦	١٣.٦
بكالوريوس	٨	١٨.٢
ماجستير	١٤	٣١.٨
دكتوراه	١٦	٣٦.٤
المجموع	٤٤	١٠٠

يوضح جدول رقم(٣) نسبة الفئات من عينة الدراسة حسب المستوى التعليمي، وهي الدبلوم ونسبته (١٣.٦%)، والبكالوريوس ونسبته (١٨.٤%)، وحملة الماجستير بنسبة(٣١.٨%)، والحاصلين على شهادة الدكتوراه من الأكاديميين العاملين في مؤسسات التعليم العالي العراقية وحصراً في الجامعات بلغت نسبتهم (٣٦.٤%). يعتبر المثقف من وجهة نظر تاريخية حديثة، رجلاً جامعياً قبل أي أمرٍ آخر. أو المثقف بالمعنى الحصري للكلمة. ترتبط ولادة المثقفين مع ظهور الجامعة، يمكن القول

بأن المثقفين الذين يعملون في ظل الشعور بالأمن، وبأنهم يحتلون أوضـــاعاً وظيفيـــة ذات مســـؤولية متساوية مع أنماط التعليم الذين حصلوا عليه ومستويات هذا التعليم. الأمر الذي يجعلهم أحراراً في أن يفكروا وأن يعملوا وفقاً لأرادتهم، ولكن عندما لا يمنح المثقفون الاوضاع الوظيفية المسؤولة والآمنـــة التي تتناسب ومستوى تعليمهم، وعندما تقيد حريتهم في التعبير والبحث. فعندئذ تتوقع من واقع هؤلاء المثقفين أن يظهر المتطرفون السياسيون.

٤-المهنة :

جدول رقم(٤) يبين مهنة أفراد عينة الدراسة

المهنة	العدد	%
كتاب جامعيون وباحثون	١٣	٢٩.٥
مدرسون	٩	٢٠.٥
رجال أدب	٧	١٦
صحافيون	٦	١٣.٦
محامون	٤	٩.١
أطباء	٣	٦.٨
معماريون ومهندسون	٢	٤.٥
المجموع	٤٤	١٠٠

يلاحظ من خلال الجدول رقم(٤) أن (٢٩.٥%) من أفراد العينة هم مـــن الأكـــاديميين فـــي الجامعة وهي نسبة عالية، كما أن (٢٠.٥%) من أفراد العينة هم مدرسون، بينما (١٦%) من أفـــراد العينة هم رجال أدب، أما بالنسبة للصحافيون فيمثلون (١٣.٦%)، ويمثل المحامون نسبة (٩.١%)، أما بالنسبة للأطباء والمعماريون المهندسون فيمثلون نسبة (٦.٨%) و(٤.٥%). ومن قراءتنا لهذا الجدول نستخلص أن عينة الدراسة تحوي نسبة عالية من ذوي الخبرة التعليمية والثقافية الواسعة.

يحدد الباحث البلغاري (نيقولاي فليشيف) موقع الأنتلجنسيا حيث يقول: «إن ما يعيّن تعييناً دقيقاً الأفراد الذين ينتمون إلى الأنتلجنسيا هو المقام الخاص الذي يحتلونه في التقســـيم المجتمعـــي للعمـــل،

فالانتلجنسيا تشمل جميع أولئك الذين ترتبط مهنتهم بالعمل العقلي من علماء، أدباء، مدرسين، فنانين، رسامين، أطباء، مهندسين، وتقنيين، وتشمل جزءاً كبيراً من ملاكات المناصب العامة والمؤسسات والمنشآت، والاقتصاديين، والمحاسبين، والخزنة، ومن ثم فإن الوظيفة المجتمعية الجوهرية للأنتلجنسيا هي الفاعلية الذهنية في جميع الميادين»(الحموي، ص١٨). وإذا كان المدرسون، والجامعيون بشكل أكثر دقة، هم الاكثر في تركيبة الانتلجنسيا، فإن ممارسة الوظيفة التربوية على ما يبدو، هي أحد شروط الانتماء لهذه المجموعة. إن كتلة المثقفين ولتستحق هذا الاسم هي كتلة مؤلفة من مدرسين- باحثين هم رسمياً من الجامعيين. يؤشر ذلك إلى أهمية الطبقة الفكرية فيما تشغله من وظائف تتضمن شكلاً من أشكال الإبداع الفكري والثقافي.

٥-مظاهر الهيمنة الأمريكية في الحياة اليومية من وجهة نظر المبحوث:

جدول رقم(٥) يبين مظاهر الهيمنة الثقافية من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة

مظاهر الهيمنة الامريكية	العدد	%
السيطرة العسكرية	٣٠	٢١.٦
سيطرة النموذج الغربي على الحياة الاجتماعية	٢٣	١٦.٥
الحروب الداخلية العراقية في العراق	٢٠	١٤.٤
وجود شبكة الانترنيت	١٧	١٢.٢
العولمة	١٦	١١.٥
الحروب الداخلية العراقية مع بعض الدول المنطقة	١١	٧.٩
السيطرة العسكرية على بعض دول العالم العربي والاسلامي	٩	٦.٥
المساعدات والمنح الامريكية للدول العربية	٧	٥
البنك الدولي والقروض والديون	٦	٤.٣
المجموع	١٣٩	١٠٠

يتضح لنا من الجدول رقم(٥) أن السيطرة العسكرية على بعض دول العالم العربي، وسيطرة النموذج الغربي على الحياة الداخلية، والحروب الداخلية في العراق، كانت أعلى نسب التوزيع التكراري لها(٢١.٦%، ١٦.٥%، ١٤.٤%)، ثم تأتي أشكال الهيمنة المتمثلة في العولمة، ووجود شبكة الانترنيت، والحروب الداخلية العراقية مع بعض الدول المنطقة بتوزيع تكراري(١٢.٢%، ١١.٥%، ٧.٩%)،أما باقي الاشكال الاخرى فتأتي في أهمية وحسب التوزيع التكراري هي الحروب الداخلية العراقية مع بعض الدول المنطقة، والمساعدات والمنح الامريكية للدول العربية، و البنك الدولي والقروض والديون وبنسب (٦.٥%، ٥%، ٤.٣%). في هذا السياق فأن هناك جوانب من الثقافة الامريكية لا تلقى قبولاً عالمياً، وليست جذابة، وهناك شيء من رد الفعل السلبي والمضاد في أجزاء كثيرة من العالم ربما يقيد أنتشارها المستقبلي. والحقيقة أن ظاهرة معاداة كل ما هو أمريكي كانت منتشرة، فبعض الدول أتبعت سياسات معدة خصيصاً لمقاومة أشكالاً من الهيمنة الثقافية الأمريكية، مثل هذه المشاعر المعادية لكل ما هو أمريكي تعتمد على فهم خاص لماهية الثقافة الأمريكية وكون هذه الثقافة متسقة أو مستقرة. وبالتالي فأن هيمنة وسيطرة النموذج الغربي الأمريكي على الحياة الاجتماعية من كثرة تقليد نموذج الحياة والنزوع إلى الحياة الفردية وإعلاء قيمة المادة واللجوء إلى الانفصال داخل الأسرة الواحدة، وكثرة حالات الانفصال والطلاق والزواج العرفي والسري، وعقوق الوالدين، وقطع صلة الرحم، ويمكن القول أن النموذج أصاب كثير من الأسر، ولكن يوجد البعض الذي لا يزال متمسك بصلة الرحم وطاعة الوالدين.

٦-أنواع هيمنة الثقافة الامريكية في الحياة الاجتماعية العراقية، من وجهة افراد عينة الدراسة:

جدول رقم(٦) يبين أنواع الهيمنة الامريكية من وجهة نظر افراد عينة الدراسة

نوع الهيمنة	العدد	%
الهيمنة الاقتصادية	٢٩	٢٣.٨
الهيمنة الثقافية والاعلامية	٢٨	٢٣
الهيمنة السياسية	١٦	١٣.١
الهيمنة العسكرية	١٥	١٢.٣
الهيمنة التكنولوجية	١١	٩

الهيمنة التربوية	٨	٦.٦
الهيمنة الفضائية	٧	٥.٧
الهيمنة الأمنية أو المخابراتية	٥	٤
الهيمنة القانونية	٣	٢.٥
المجموع	١٢٢	١٠٠

يتضح لنا من الجدول رقم(٦) نتائج التوزيع التكراري حول أنواع الهيمنة الامريكية حيث جاءت الهيمنة الاقتصادية والثقافية والاعلامية والسياسية والعسكرية والتكنولوجية كأعلى أهم أنواع الهيمنة وبنسب(٢٣.٨%، ٢٣%، ١٣.١%،١٢.٣%، ٩%) ، بينما جاءت الهيمنة التربوية والفضائية والامنية والقانونية في المراتب الاخيرة من الأهمية وبنسب (٦.٦%، ٥.٧%، ٤%،٢.٥%). إن الهدف الأسمى لدى الطبقة السياسية في امريكا، وهو فرض الهيمنة الامريكية على العالم، فقد اتسم العقد الأخير من القرن العشرين بتطورات عالمية هامة شملت مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أفرزت معها هذا المصطلح الذي فرض نفسه على الواقع الانساني. وأخيراً نشير إلى أن مفهوم الهيمنة رغم تعدد أبعاده السياسية والاقتصادية والعسكرية، إلا أنه يعني في المحصلة الأخيرة السيطرة الكاملة لهذه القوى الخارجية أو تلك على المرافق السياسية والاقتصادية والعسكرية في هذه الدولة الوطنية أو تلك.

٧-أسباب السيطرة الامريكية على المجتمع العربي بسبب الثروات طبيعية هو السبب في السعي نحو السيطرة عليه بالنسبة لأفراد عينة الدراسة:

جدول رقم (٧) يبين أسباب السيطرة على المجتمع العربي بالنسبة لأفراد عينة الدراسة

اسباب السيطرة الامريكية على المجتمع العربي	العدد	%
نعم	٣٣	٧٥
لا	٧	١٦
إلى حد ما	٤	٩

المجموع	٤٤	١٠٠

أجاب المبحوثين في الجدول رقم (٧) عن أسباب السيطرة الامريكية على المجتمع العربـــي بسبب الثروات الطبيعية الهائلة الموجودة في ذلك المجتمع والتي تسعى الولايات المتحدة إلى السيطرة عليه فقد كانت الاجابة كما يلي: ما نسبته(٧٥%) أشر نعم، وبنسبة(١٦%) اشر لا، فيما اشر الى حـــد ما بنسبة(٩%). وهذا يدل على نسبة الاتفاق بين افراد عينة الدراسة من المثقفين على أن أهم الثروات التي تميز البلاد العربية والتي قد تجعل الولايات المتحدة أكثر قرباً من تلك الدول التي توجد بها تلـــك الثروات. أن الوطن العربي يتميز بثروات عديدة، تجعله مطمع للدول الاستعمارية، إذ تفرض عليه تلك الدول الاستعمارية الهيمنة والسيطرة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، عن طريق المصادر المختلفـــة من المعلومات أو استغلال تلك الثروات وإخضاع هذه الشعوب للهيمنة.

٨-أسباب ظهور ثقافة القطب الأوحد بسبب السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية:

جدول رقم(٨) يبين ظهور ثقافة القطب الأوحد بسبب السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة

الاسباب	العدد	%
نعم	٣٧	٨٤.١
إلى حد ما	٤	٩.١
لا	٣	٦.٨
المجموع	٤٤	١٠٠

يتضح لنا من الجدول رقم(٨) أسباب السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية التي أدت إلى ظهور ثقافة القطب الأوحد، وكانت أغلب اجابات المبحوثين بنعم (٨٤.١%)، وإلى حد ما بنســـبة (٩.١%)، وجاءت لا في المرتبة الأخيرة بنسبة (٦.٨%) من إجابات المبحوثين.

أن المتتبع للسياسة الدولية يدرك أن أمريكا أصبحت هي المهيمن على السياسة الدولية في وقتنا الحالي، بتفردها في الموقف الدولي، وفي أدارة مشاكل العالم وتسويتها، حتى يتم لها مـــا تريـــد مـــن السيطرة على العالم، ومع بروز الاتحاد السوفيتي قوة عظمى رافعاً شعار المساواة والعدل والتحرر من الاستعمار الاوربي، عند ذلك ادركت أمريكا أنها إذا سارت على الطريقة نفسها التي ســـارت عليهـــا الدول الرأسمالية الأخرى فإنها ستخفق إخفاقاً ذريعاً، فكان لابد من وضع الخطط والأساليب والوسائل

التي تضمن لأمريكا السيطرة والانفراد بوصفها قوة واحدة في العالم، بالإضافة إلـى نشـر مفـاهيم وقناعات المبدأ الرأسمالي في العالم. يبد أن العقلية الأمريكية ما زالت وستظل لفتره –ليست طويلـة– تعيش وهم الإمبراطورية العظمى المهيمنة "القطب الأوحد". ولدليل أن تصرفاتها تجاه الأمم والشعوب– وخاصة المسلمين– لم يطرأ عليها تغيرات كبيره. لنلاحظ التغيير، هل هو تغيير إيجابي نافع للجميع أم سلبي وينطوي عن نوايا مبطنه. لنتفاءل ونراقب ونتعلم من الأحدث والتجارب وطرق التفكير المختلفة.

٩–السياسة الاقتصادية الامريكية وتحقيق أهدافها في السيطرة على معظم بلدان العالم:

جدول رقم(٩) يبين السياسة الاقتصادية الامريكية وتحقيق أهدافها في السيطرة على معظم بلدان العالم لدى أفراد عينة الدراسة

الاختيار	العدد	%
نعم	٤١	٩٣.٢
لا	–	–
إلى حد ما	٣	٦.٨
المجموع	٤٤	١٠٠

أغلب إجابات المبحوثين في الجدول رقم (٩) أشرت نعم بنسـبة(٩٣.٢%) وهـي الغالبيـة العظمى من أفراد عينة الدراسة. وبنسبة (٦.٨%) أجاب إلى حد ما. إن الرأسمالية تتميز باقتصاديات شديدة الحركية والتعقيد، وباعتبارها لاعباً أساسياً مسيطراً في تشكيل العولمة الثقافية، فـإن الولايـات المتحدة متهمة عادة بالقيام بهذا الدور. على نحو أكثر تحديداً، كان الانتقاد الشديد في الفتـرة الحديثـة يوجه إلى الادارة الامريكية لاستخدام القوة الامريكية في نشر مفهومها للحرية والديمقراطية في العالم، إلا أن حجم الفوضى والعنف في العراق إثر الحرب الأخيرة، بالإضافة إلى الانتقادات الدوليـة التـي ولدتها هذه المرحلة، يوحي بشكل قاطع أن استخدام القوة لا يستطيع أن يضمن النفوذ الثقـافي(هوبر، ٢٠١١، ص١٤).

١٠- أتباع نموذج الحياة الامريكية في العراق لظهور الولايات المتحدة بالقوة الاقتصادية والسياسية:

جدول رقم(١٠) يبين أتباع نموذج الحياة الامريكية لظهرها بالقوة الاقتصادية والسياسية

البديل	العدد	%
لا	١٩	٤٣.٢
إلى حد ما	١٥	٣٤.١
نعم	١٠	٢٢.٧
المجموع	٤٤	١٠٠

من الجدول رقم(١٠) أعلاه، يؤدي ظهور الولايات المتحدة بالقوة الاقتصادية والسياسية إلـــى أتباع نموذج الحياة الامريكية من وجهة نظر المبحوثين فقد كانت الاجابات على (لا ، إلى حد ما، نعم) كالآتي (٤٣.٢%، ٣٤.١%، ٢٢.٧%). ومنذ أوائل القرن الماضي والولايات المتحدة تملك قدرات اقتصادية صناعية خارقة أهلتها لكي تهيمن على مسارات التدفقات التجارية والاقتصادية في معظم بلاد العالم، حتى في ظل أتون الحرب الباردة. ومثلما ملكت الولايات المتحدة الأمريكية إمكانات هائلة فـــي الثروات الطبيعية والصناعية والمنتجات الفنية والثقافية والاستهلاكية العديدة. ملكت إلى جانـــب ذلـــك مرونة في التسويق وفي المبادلات التجارية بحكم اقتصادها الحر وسرعة الارتباط بالدول والشـــركات في مختلف بقاع العالم دون تعقيدات كانت من سمات المعسكر الشرقي حتى أصبح التدفق النقدي للعملة الأمريكية هو السائد المسيطر على معظم صفقات التجارة العالمية من أمريكا إلى الخارج ومن دولـــة لأخرى أيضاً(الشهوان، ٢٠٠٩).

١١-وجود الولايات المتحدة الامريكية على قمة دول العالم أدت إلى أتباع نموذج الثقافة الامريكية في الوطن العربي وبخاصة العراق:

جدول رقم(١١) يبين أتباع نموذج الثقافة الامريكية لوجود الولايات المتحدة على قمة دول العالم

البديل	العدد	%
نعم	٣١	٧٠.٥
إلى حد ما	١١	٢٥
لا	٢	٤.٥
المجموع	٤٤	١٠٠

في الجدول رقم(١١) يتبين وجود الولايات المتحدة الامريكية على قمة دول العالم أدت إلى أتباع نموذج الثقافة الامريكية في الوطن العربي وبخاصة العراق كما جاء في اجابات أغلب افراد عينة الدراسة بنسبة(٧٠.٥%)، بينما جاء الاجابة بـ لا و إلى حد ما ، بنسبة (٢٥%، ٤.٥%) من باقي اجابات افراد العينة. إذاً فالأهداف الاستراتيجية والمصالح الحيوية الأمريكية تقتضي اليوم الجمع بين الحضور العسكري المباشر في حروب هجومية ودفاعية وأيضاً استباقية مع مساعي تبدو جدية لتغيير النظم والشعوب في آن معاً، ويبدو أن أمريكا لا تريد أن ترتدي لباس المصالح الأنانية، فلجأت الى التبطين والتستر خلف هدف نبيل كنشر الديمقراطية أو رسالة سامية كتنمية حقوق الانسان في محاولة لمغازلة توق الناس إلى الحرية وتسويغ أي دور يمكن أن تضطر إليه لردع ما يمكن أن يهدد هيمنتها أو يخدش نفوذها خصوصاً ضد نمو مستوى من الاستقلالية المناطقية أو الإقليمية للسيطرة على الثروة النفطية. إن السلوك الأمريكي المتفرد المقترن بقوة مفرطة هو سمة العالم اليوم، يطلق جبروته استمرار ضعف الآخر وتفككه، وما تعيشه اليوم منطقتنا ليس قدرها بل واقع طارئ تصنعه أطماع الفاسدين ومناخات الاستبداد وترعاه توازنات قوى لم نسع بإنساننا الحر إلى تعديلها أو تغييرها(البني، ٢٠٠٤).

١٢-اختلاف الموروثات الثقافية والتمسك بالدين أدى إلى عدم سيطرة النموذج الثقافي الامريكي في الدول العربية:

جدول رقم(١٢) يبين عدم سيطرة النموذج الثقافي الامريكي بسبب اختلاف الموروثات الثقافية

البديل	العدد	%
لا	١٩	٤٣.٢
نعم	١٤	٣١.٨
إلى حد ما	١١	٢٥
المجموع	٤٤	١٠٠

يتبين من الجدول رقم(١٢) رأي عينة الدراسة بخصوص عدم سيطرة النموذج الثقافي الأمريكي بسبب تأثير الموروثات الاقتصادية والتمسك بالدين، فقد أجاب بـ "لا" ما نسبته (٤٣.٢%)، و"نعم" بنسبة (٣١.٨%)، بينما نسبة الاجابة بـ "إلى حد ما" نسبة (٢٥%). وحول الطرق الممكنة للوقوف ضد توسع الولايات المتحدة الامريكية وحسب رأي المبحوثين فأن التمسك بالدين والعادات والوحدة الوطنية من أهم الطرق الممكنة للوقوف ضد التوسع الامريكي لأن الدين يضم الأخلاق والعلاقات الاجتماعية، فهو تعليم لما هو ديني ودنيوي وكذلك التمسك بالعادات والقيم الاصيلة.

١٣-أن وجود سلبيات في السياسة الثقافية الامريكية أدى إلى عدم سيطرتها على العالم:

جدول رقم(١٣) يبين وجود السلبيات في السياسة الثقافية الامريكية أدى إلى عدم سيطرتها على العالم

البديل	العدد	%
نعم	٢٥	٥٦.٨
لا	١٤	٣١.٨
إلى حد ما	٥	١١.٤
المجموع	٤٤	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه بأن وجود السلبيات في السياسة الثقافية الامريكية يؤدي إلى عدم سيطرتها على الدول الأخرى، فقد أجاب ما نسبته (٥٦.٨%) تقريبا% نصف عينة الدراسة بـ"نعم" ، في حين كانت الاجابة بـ "لا" بنسبة (٣١.٨%)، و"إلى حد ما" بنسبة (١١.٤%). إن أهداف الهيمنة الأمريكية لا تتحقق إلا بالعدوان على روح الأمة العربية نفسها والتراث الإسلامي نفسه، وإفراغ هوية الأمة وثقافتها من نسغ الحياة الذي يبقيها أمة وتحويلها إلى مجموعة أفراد أو جماعات يأكلون ويتناسلون ويعيشون ويفكرون في إطار رغبات السيد الأمريكي وثقافته وتقاليده الاستهلاكية.

١٤-أن السياسة الاقتصادية الامريكية تجاه العراق أدت إلى اظهاره بمظهر العدو المغتصب:

جدول رقم(١٤) يبين أن السياسة الاقتصادية الامريكية تجاه العراق أدت إلى إظهاره بمظهر العدو المغتصب بالنسبة لأفراد عينة الدراسة

البديل	العدد	%
نعم	٣٥	٧٩.٥
لا	–	–
إلى حد ما	٩	٢٠.٥
المجموع	٤٤	١٠٠

بعد أن مر العراق بفترات عصيبة في حرب الخليج الأولى والثانية والغزو الكويتي وتأثير تلك على الحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية للعراق في ظل الغزو الامريكي أدى إلى إلمام المثقفين برفض العراق للهيمنة الامريكية وأن السياسة الامريكية في العراق أظهرتها بمظهر العدو المغتصب، وقد أجاب ما نسبته (٧٩.٥%) من أفراد العينة المدروسة بـ (نعم)، في حين أجاب بـ "إلى حد ما" بنسبة (٢٠.٥%).

١٥-أن السياسة الخارجية الامريكية تجاه دول منطقة الشرق الاوسط وبخاصة العراق أدى إلى تراجع سيطرة القطب الأوحد في تلك المنطقة:

جدول رقم(١٥) يبين سياسة الولايات اتجاه العراق وتراجع سيطرة القطب الأوحد لدى عينة الدراسة

البديل	العدد	%
نعم	٣٠	٦٨.٢
لا	٩	٢٠.٥
إلى حد ما	٥	١١.٣
المجموع	٤٤	١٠٠

عن تراجع سيطرة القطب الأوحد في المنطقة نتيجة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط فقد أتت النتائج باتفاق عام بين افراد عينة الدراسة بنسبة (٦٨.٢%)، و "لا" بنسبة (٢٠.٥%)، و "إلى حد ما" بنسبة (١١.٣%). فمع نهاية الحرب الباردة وبزوغ عهد جديد للقوة الأمريكية الأحادية(يقصد هيمنة وسيطرة أمريكا على العالم)، فقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في إقناع الدول الأخـرى علـى إطاعة أوامرها من خلال قوة الإمبراطورية العارية عن طريق التطبيق غير المباشر للقوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، كما تعتقد بأن حلفائها وأصدقائها يتصرفون وفقاً لمصالحهم عندما يدعمونها أو يسندونها ويطيعون أوامرها، وذلك من خلال وضع الشروط للاقتصاد العالمي والحفاظ على أكبر قوة عسكرية في العالم بحيث تمكن أمريكا للسيطرة على بقية البلدان الأخرى، حتى لو ترتبط معها بأقـل العلاقات(ايدورد، ٢٠٠٩).

١٦-وجود عدم اتزان بين الطوائف المختلفة في العراق أدى إلى السيطرة الخارجية عليهم:

جدول رقم(١٦) يبين وجود عدم الاتزان بين الطوائف المختلفة في العراق أدى إلى السيطرة الخارجية عليهم بالنسبة لأفراد عينة الدراسة

البديل	العدد	%
نعم	٢٢	٥٠

إلى حد ما	١٣	٢٩.٥
لا	٩	٢٠.٥
المجموع	٤٤	١٠٠

ويأتي التشتت بين الطوائف في العراق ليسهل السيطرة الخارجية عليه، وذلك لوجود الخلافات بين الطوائف التي مر من خلالها تسهيل رغبات الغزو الخارجي للعراق، وجاء هذا الغـزو بفـرض العراق لحروب طويلة أضعفته لمواجهة ذلك الغزو. وهذا ما أجاب عليه تقريباً نصـف أفـراد عينـة الدراسة بنسبة (٥٠%)، في حين أجابوا بـ "إلى حد ما" بنسبة (٢٩.٥%)، وبنسبة (٢٠.٥%) أجابت بـ "لا".

١٧-الحروب المستمرة في العراق أدى إلى عدم استقرار الحياة الاجتماعية الطبيعية فيها:

جدول رقم(١٧) يبين عدم استقرار الحياة الاجتماعية بسبب الحروب المستمرة في العراق

البديل	العدد	%
نعم	٣٧	٨٤.١
لا	-	-
إلى حد ما	٧	١٥.٩
المجموع	٤٤	١٠٠

في إجابات المبحوثين في الجدول رقم(١٧) فقد أجاب غالبية أفراد عينة الدراسة بـ "نعم" مـا نسبته (٨٤.١%)، و"إلى حد ما" أجاب العينة بنسبة (١٥.٩%)، فقد رأى المثقفين أن الحروب الطويلة في العراق أدت إلى إضعاف العراق في الحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعلاقاته الخارجية بالدول وفرض القرارات الدولية عليه مما أدى إلى مرور العراق بفترات عصيبة في جميع نـواحي الحياة فيها، وأدى ذلك إلى غزو العراق من الجانب الامريكي، ورفض العراق لهذا الغزو ومقاومتـه لها، وهذه السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية، فهو إنذار للدول العربية بتكرار ذلك فـي أي من بلدان الوطن العربي إذا توافرت الأسباب لدى الولايات المتحدة الامريكية مهددة بالتصدي للإرهاب في أي مكان في العالم، واقرار الديمقراطية لجميع شعوب العالم، وبالرغم من الشعارات التي تتبناهـا

الولايات المتحدة من إقرار السلام والعدل والديمقراطية ومحاربة الارهاب في جميع أنحاء العـــالم، إلا أن الولايات المتحدة الامريكية في العراق أظهرته بمظهر العدو المغتصب كما رأته عينة الدراسة من المثقفين المهتمين بموضوع الدراسة.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

١-إن مخاطر الهيمنة الأمريكية على البلدان العربية متنوعة الأشكال متعددة الجوانب، حيث تطمع السياسة الأمريكية بالثروات العربية وخاصة النفط، وبتوظيف موقع الوطن العربي الاستراتيجي قاعدة لأهدافها الكونية.

٢-أن أهم شكل من أشكال الهيمنة الأمريكية على العراق هي الهيمنة العسكرية أو التدخل العسكري، نتيجة غزو العراق من الجانب الامريكي وأدى إلى استغلال خيراته. وجعل الوطن العربي قاعدة متقدمة لها في محاولاتها للهيمنة المباشرة العسكرية والاقتصادية والسياسية.

٣-أن العصر الحالي هو عصر العولمة وأن الشباب يتبع الثقافة العالمية عن طريق القنوات الفضائية وشبكة الانترنيت والقنوات الفضائية، وهذا يدل على هيمنة التكنولوجيا المتقدمة. وتدرك السياسة الأمريكية أن تحقيق هذه الأهداف وديمومتها يواجه رفضاً من الشعب العربي، ولن تستطيع أمريكا ذلك إلا بتدمير الثقافة الوطنية وثقافة المقاومة وسلم القيم العربية والإسلامية والتشكيك بقدرة الأمة وتاريخها وتراثها، واستلاب إرادة شعوب المنطقة وتنحيتها عن تقرير مصيرها وتفكيك مجتمعاتها، وتحويلها إلى مجرد مجتمعات استهلاكية للحضارة الأمريكية وتقاليدها وقيمها ومنتجاتها، وإلى مجرد قوة إنتاجية صرفة وسوق استثمارية واستهلاكية.

٤-أن خطر الهيمنة الأمريكية إذن نهب الثروات العربية البترول والسيطرة على موقع الوطن العربي الاستراتيجي، وهذا يتضح من أن الولايات المتحدة الامريكية تسيطر على الدول المنتجة للنفط مثل العراق والسعودية والكويت.

٥-إن أهداف الهيمنة الأمريكية لا تتحقق إلا بالعدوان على روح الأمة العربية نفسها والتراث الإسلامي نفسه، وإفراغ هوية الأمة وثقافتها من نسغ الحياة الذي يبقيها أمة وتحويلها إلى مجموعة أفراد أو جماعات يأكلون ويتناسلون ويعيشون ويفكرون في إطار رغبات السيد الأمريكي وثقافته وتقاليده الاستهلاكية.

٦-أن الهيمنة الثقافية الامريكية جاء فيها أن الدول العربية تتبع ثقافة القطب الواحد.

ثانياً: التوصيات

١- ضرورة تعزيز العلاقات بين المثقفين والسياسيين، وعلى المثقفين العراقيين العمل على توحيد جهودهم الفكرية والثقافية من خلال النقابات والمهن التي ينتمون إليها والاتفاق على نقاط محددة تبين بوضوح مجال نشاطهم الثقافي والسياسي.

٢-التعاون مع القوى الاقتصادية في العالم لتحقيق المصالح الاقتصادية الجماعية عن إقامة تكتل إقليمي يحقق مصالح العرب السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها ويجعل منهم قوة موحدة قادرة على التخاطب مع قوى العالم الأخرى من موقع القوي المقتدر.

٣-فهم الظروف والمسببات التي أوصلتنا إلى الحال الذي نحن فيه والذي أشرت إليه آنفاً، والعمل على معالجتها خاصة بالعودة إلى الشعب وقواه الحية السياسية والاجتماعية، وإشراك الناس في تقرير مصيرهم ومواجهة قضاياهم والدفاع عن بلدانهم ومجتمعاتهم، في مناخ من الحرية والديموقراطية والحوار تتيح لهم تنظيم أنفسهم والعمل النضالي الحر والمسؤول في إطار برنامج قومي شامل.

٤-أن يعمل الجميع أنظمة وحكومات وأحزاباً ومؤسسات أهلية ونخب ثقافية لإقامة نظام عربي إقليمي جديد جاد فعال ملزم للجميع، يتحقق من خلاله تضامن الأمة ووحدتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية وتأهيلها لمواجهة الغزو الأمريكي والهيمنة الاحتكارية وحماية مصالحها ولعب دور حيوي في السياسة العالمية.

٥-اتباع مختلف الوسائل لزيادة الضغط الشعبي على الحكومات والأنظمة السياسية العربية ودفعها لتبني مواقف أقل خذلاناً تجاه الغازي الأمريكي، وإلزامها تحقيق شيء من التنسيق بين مواقفها، والتضامن بوجه أعدائها، والاستقواء بشعوبها من جهة وبإمكانياتها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية من جهة أخرى، ومنعها من الاستسلام الكلي للهيمنة الأمريكية، وإقناعها بأن استمرارها يأتي من دعم شعوبها لا من الرضى الأمريكي، فالأمريكي يرضى عنها فقط ما دامت تقدم خدماتها، وسيتخلى عنها بالتأكيد عندما يستنفذ أغراضه.

المصادر العربية والأجنبية:

أولاً: المصادر العربية

١-أحمد سالم الأحمر،١٩٩٠، المثقف العربي واقعه ودوره، الوحدة، السنة السادسة، العدد ٦٦ مارس، المجلس القومي للثقافة العربية.

٢-أحمد أبو زيد، ٢٠٠٥: (المثقفون والسلطة: الهوية الثقافية والمسئولية السياسية)، الديمقراطية، السنة الخامسة، العدد ١٨ــ إبريل، القاهرة، مؤسسة الأهرام الصحفية.

٣-أكرم البني،٢٤/ ٣ / ٢٠٠٤، الهيمنة الأمريكية، صياغة متجددة !!، دمشق ــ http://www.mokarabat.com/a.b1.htm

٤-الطاهر لبيب،١٩٨٨، العالم والمثقف والإنتلجنسي، ندوة الإنتلجنيسيا العربية، عمان: منتدى الفكر العربي.

٥-أنطوني كينج، ٢٠٠٥، الثقافة والعولمة والنظام العالمي، ترجمة: شهرت العالم وآخرون، القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة مكتبة الأسرة.

٦-تيرنس ايدورد، ٢٠٠٩، انزلاق الهيمنة الأمريكية عبر التاريخ، ترجمة: آمنة البغدادي. www.atimes.com/atimes/Middle_East/KI12Ak01.html

٧- جان مارك بيوتي، ١٩٧٥، فكر غرامشي السياسي، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة.

٨- جرامشي،١٩٩٤، كراسات السجن، ترجمة: عادل غنيم، بيروت: دار المستقبل العربي.

٩-جوزيبي فاكا، ٢٠٠٢، تحليل الهيمنة، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، ندوة القاهرة.

١٠- جيرار ليكلرك، ٢٠٠٨، سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة: جورج كتوره، بيروت –لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

١١- حسين حموي، الخطاب الثقافي والمشهد السياسي في مواجهة الغزو الصهيوني، دمشق: دار الكتاب العربي.

١٢- حسين عبد الحميد رشوان ، الثقافة –دراسة في علم الاجتماع الثقافي ، مؤسسة الشباب الجامعي ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦.

١٣- صالح الشهوان،٢٠٠٩، الهيمنة الأمريكية أو الشراكة!،مجلة الاقتصادية، العدد (٥٦٥٧)، http://www.aleqt.com/2009/04/07/article_212842.html

١٤- عبد الإله بلقزيز، ٢٠١١، العولمة والممانعة دراسات في مسألة الهوية الثقافية، بيروت: منتدى المعارف.

١٥- عبد المنعم الحنفي، ٢٠٠٠، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، القاهرة: مكتبة مدبولي.

١٦-عبد الرشيد عبد الحافظ، ٢٠٠٥، الاثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، القاهرة: مكتبة مدبولي.

١٧- عبد السلام حيمر ، ٢٠٠٩، في سيسيولوجيا الثقافة والمثقفين من سيسيولوجيا التمثلات إلى سيسيولوجيا الفعل الاجتماعي ومن منطق العقل إلى منطق الجسد (أو التطبع)، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

١٨- على الدين هلال،١٩٧٩، أزمة الجماعة الثقافية في مصر، أبحاث الندوة الدولية عن(المثقفون والتغير الاجتماعي في العالم العربي) ، سلسلة داراسات الشرق الأوسط (٣)، القاهرة: جامعة عين شمس، مركز بحوث الشرق الأوسط ، مطبعة جامعة عين شمس.

١٩-غالي شكري،١٩٩٠،المثقفون والسلطة في مصر، القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم.

٢٠-مختار العربي ، ٢٠٠٥/٤/١٤،مفهوم الهيمنة الثقافية، العدد(١١٦٧).

http://www.ahewar.org

٢١-محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ،الافريقي المصري ، ج ١٣ ،ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ب ت .

٢٢-محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، جزء ٩، ط١، بيروت :دار صادر ، ، ب. ت.

٢٣-محمد ابراهيم، ١٩٨٣، تأملات في أزمة العقل العربي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

محمد عبد الشفيع عيسى، ١٩٩٩، العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، مركز البحوث العربية، القاهرة: مكتبة مدبولي.

٢٤-محمود عبد الفضيل،١٩٩٩، مصر ورياح العولمة، كتاب الهلال، عدد (٥٨٥)، القاهرة: دار الهلال.

٢٥-مراد وهبة، ٢٠٠٩، ثقافة الهيمنة، الديموقراطية، عدد(٣٦)، القاهرة: مؤسسة الأهرام.

٢٦-منير حشمت، ١٩٩٨، العولمة ليست الخيار الوحيد، مكتبة الاسد، الاهالي.

٢٧-نديم البيطار، ٢٠٠١،المثقفون والثورة: الإنتلجنسيا كظاهرة تاريخية، بيروت: دار بيسان.

ثانياً: المصادر الأجنبية

1- Gramsci , selections from prison notebooks, London.

2-Gerard Ignasse et Marc-Antoine Genissel ,1995, Introduction a la sociology , universities (Paris : Ellipses) .

3- J. Asimpson & Eseweiner. 1991, The Oxford Dictionary, London.

4- R .G .Murdick, J. E. Ross, 1975, Information System for Modern. Management, 2th ed. New Jersey: Prentice Hall.